

الجزء الخامس عشر

تأليف

الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين
رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر سابقا

الدكتور
حصة عبد العزيز السويدي
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
جامعة قطر

الدكتور
أماني موسى شاهين
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بفرع جامعة الأزهر للبنات

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة يوسف ، ١١١]

سعد بن أبى وقاص ﷺ

٣٧٢٦ - عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُنِى وَأَنَا ثُلُثُ الإِسْلامِ .

٣٧٢٧ - وعن سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ ﷺ قال : مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلاَّ فِى الْيَوْمِ الَّذِى أَسْلَمْتُ فِيهِ ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّى لَثُلُثُ الإِسْلاَمِ .

وقد ذكرنا تحت إسلام أبى بكر أن أبا بكر وامرأتين وخمسة أعبد هم أول من أسلم ، فقول سعد ﷺ : مكثت سبعة أيام ، وإنى لثلث الإسلام مبنى على علمه ، فقد كان من يسلم يخفى دينه .

والراجح أنه كان سابع سبعة ، أسلم وهو ابن تسع عشرة سنة ، وهاجر إلى المدينة فى مقدمة المهاجرين إليها ، وشهد بدرًا والغزوات كلها ، وأبلى فى أحد بلاء حسنًا ، وحمى رسول الله ﷺ ، فنثر رسول الله ﷺ له كنانته ، وفرغها له ليرمى بسهامها ، فجمع له بين أبويه ، وقال له : ارم سعد . فداك أبى وأمى. ولم يجمع صلى الله عليه وسلم أبويه إلا لسعد وللزبير .

وكان سعد فارسًا مشهورًا بالشجاعة ، وكان من الذين يحرسون رسول الله ﷺ فى مغازيه ، وكان أول رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله فى سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان القتال فيها أول حرب وقعت بين المشركين والمسلمين ، وهى أول سرية بعثها رسول الله ﷺ فى السنة الأولى من الهجرة ، وكانت عند رابغ ، فتراموا بالسهام ، ولم يكن بينهم حرب سيوف ولا رماح .

وهو الذى كوَّف الكوفة ، وتولى قتال فارس بأمر عمر بن الخطاب ، ففتح الله على يديه أكثر فارس ، وكان له فتح القادسية وغيرها ، وعينه عمر

أميرًا على الكوفة ، وكان يعتز به ، ويثق فى فتواه ، ففى الحديث :

وكان سعد محبًّا للخير ، يدافع عن الفقراء الصالحين ، ففى الحديث رقم:

٢٧ – عن سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رهطًا وسعدٌ جالسٌ ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ فَوَاللَّهِ إِنِّى لأَرَاهُ مُؤْمِنًا ؟ فَقَالَ : « أَوْ مُسْلِمًا » ؟ فَسَكَتُّ قَلِيلا ، ثُمَّ غَلَبَنِى ، مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِى ، فَقُلْتُ : مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ فَوَاللَّهِ إِنِّى لأَرَاهُ مُؤْمِنًا ؟ فَقَالَ : « أَوْ مُسْلِمًا » ؟ ثُمَّ غَلَبَنِى مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِى وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا سَعْدُ ، إِنِّى لأُعْطِى الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِى النَّارِ » .

وضع الإمام النووى هذا الحديث تحت عنوان : تأليف ضعيف الإيمان . وحاصل القصة : أن رجلا من سادات قريش مر على رسول الله ﷺ ، وحوله أصحابه ، وفيهم سعد بن أبى وقاص ، فقال لهم : ما تقولون فى هذا الرجل ؟ قالوا : حرى وجدير إن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يسمع له ، وإن خطب بنت احدنا أن يجاب لطلبه ، إنه رجل عظيم ، فسكت النبى ﷺ حتى مر جعيل ابن سراقة ؛ وهو من فقراء المهاجرين ، فقال لهم : ما تقولون فى هذا الرجل؟ قالوا : لا شأن له ، جدير إن شفع أن لا يشفع ، وإن تكلم أن لا يسمع له ، وإن خطب بنت أحدنا لا يجاب لطلبه ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذا الفقير خير من ملء الأرض مثل ذلك الغنى .

وبعد زمن جلس سعد فى مجلس رسول الله ﷺ ، وجاء جعيل مع عدد من فقراء المهاجرين يتعرضون لعطاء رسول الله ﷺ ، فأعطاهم ، ولم يعط جعيلا ، فعظم الأمر فى نفس سعد ، كيف لا يعطى جعيلا وهو عند سعد أحبهم إليه منذ سمع رسول الله ﷺ ما سمع عنه ؟ وأسر فى أذن رسول الله ﷺ : يا رسول الله . قلت فى جعيل كذا وكذا ، وأنت تصنع ما تصنع ، أعط جعيلا كما

أعطيت زملاءه ، فوالله إنى لأراه وأظنه وأعتقده مؤمنًا . ولما كان الحكم والقطع بالإيمان والحلف عليه لا يصح ؛ لأنه عمل قلب ، لا يعلمه إلا الله ، وجه رسول الله ﷺ سعدًا إلى ما ينبغى من الحكم ، فقال : أو مسلمًا ، أى احكم بأنه مسلم ، فسكت سعد قليلا ، ينتظر أن يعطى النبى ﷺ جعيلا ، فلم يفعل ، فقام مرة ثانية يقول : أعط جعيلا . فوالله إنى أراه مؤمنًا . فقال صلى الله عليه وسلم : أو مسلمًا . ولم يفطن سعد لمراد الرسول ﷺ ، فقال للمرة الثالثة : أعط جعيلا يا رسول الله ، إنى أراه مؤمنًا ، فقال رسول الله ﷺ : أو مسلمًا ، ثم قال : أقتالا ومدافعة يا سعد ؟ لماذا هذا الإلحاح ؟ إن إعطائى ليس علامة على رضاى ومحبتى ، إن هؤلاء ضعاف الإيمان ، فأنا أتألفهم .

ومرض سعد بمكة عام حجة الوداع مرضًا شديدًا ، فزاره رسول الله ﷺ، وكانت قصة الحديث رقم :

٥٦ - **عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاص ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِى بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا ، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِى فِى امْرَأَتِكَ » .**

١٢٩٥ - وبلفظ : **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِى** - بمكة عام - **عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِى ، فَقُلْتُ : إِنِّى قَدْ بَلَغَ بِى مِنَ الْوَجَعِ** - ما ترى من شدته ، وأخشى من الموت - **وَأَنَا ذُو مَالٍ ، وَلاَ يَرِثُنِى إِلاَّ ابْنَةٌ** - لم يكن له فى هذا الوقت غيرها من أصحاب الفروض ، وكان له أبناء أخ كثيرون - **أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَىْ مَالِى ؟ قَالَ : « لاَ » . فَقُلْتُ : بِالشَّطْرِ ؟ فَقَالَ : « لاَ » . ثُمَّ قَالَ : « الثُّلُثُ ، وَالثُّلْثُ كَبِيرٌ** - **أَوْ كَثِيرٌ** - **إِنَّكَ إِنْ تَذَرَ** - وتترك - **وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ** - لم يقل : بنتك وقال : ورثتك ، قيل : لأنه علم بالوحى أن سعدًا سيعيش كثيرًا ، وسيكون له من الأولاد عشرة ذكور واثنتا عشرة بنتًا - **وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِى بِهَا**

وجْهَ اللَّه إلاَّ أُجرْتَ بِهَا ، حَتَّى مَا تجْعَلُ فِى فِــى امْرَأَتِــكَ » . فَقُلْــتُ : يَــا رسُولَ اللَّه ، أُخلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِى ؟ – أى هل سأخلف فى مكة بسبب المــرض ويرحل أصحابى إلى المدينة ؟ أو هل سأموت بمكـــة ، ويتركنـــى أصـــحابى المهاجرون ؟ – قَالَ : « إنَّكَ لَنْ تُخلَّفَ – ولو خلفت مريضًا – فتَعْمَلَ عمَــلا صَالِحًا إلاَّ ازْددْتَ به درَجَةً وَرفْعَةً ، ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ – وتعيش طويلا بعــد شفائك – حَتَّى ينْتَفِعَ بكَ أَقْوَامٌ ، ويُضَرَّ بكَ آخَرُونَ – وفعلا كان قائد المسلمين فى حرب القادسية وغيرها ، فانتفع به المسلمون ، وضر به الكافرون – اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحَابِى هِجْرَتَهُمْ ، وَلاَ ترُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ . لَكِنِ الْبَائسُ ســعْدُ بْــنُ خَولَةَ ، يرْثى لَهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ » .

٢٧٤٢ – وبلفظ : جَاءَ النَّبِىُّ ﷺ يَعُودُنى وَأَنَا بمكَّةَ ، وَهْــوَ يكْــرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالأَرْضِ الَّتى هَاجَرَ منْهَا – قَالَ : « يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءَ » . قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه ، أُوصِى بمَالِى كُلِّه ؟ قَالَ : « لاَ » . قُلْــتُ : فَالــشَّطْرُ ؟ قَــالَ : « لاَ » . قُلْتُ : الثُّلُثُ ؟ قَالَ : « فَالثُّلُثُ ، وَالثُّلُثُ كَثيرٌ ، إنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَــكَ أَغنياءَ خيْرٌ منْ أنْ تدَعَهُمْ عَالَةً يتكففُونَ النَّاسَ فِى أَيْدِيهِمْ ، وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ منْ نَفقَة فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ ، حَتَّى اللُّقْمَةُ الَّتِى تَرْفَعُهَا إِلَى فِى امْرَأَتكَ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ – يطيل عمرك – فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ » . وَلَمْ يَكُــنْ لَهُ يَوْمَئذ إلاَّ ابْنَةٌ .

٢٧٤٤ – بلفظ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ يَرُدَّنِى عَلَــى عَقِبِى . قَالَ: « لَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ وَيَنْفَعُ بِكَ نَاسًا ». قُلْتُ: أُرِيدُ أَنْ أُوصِىَ؟ وَإِنَّمَا لِى ابْنَةٌ – قُلْتُ – أُوصِى بِالنِّصْفِ؟ قَالَ: « النِّصْفُ كَثِيرٌ ». قُلْــتُ: فَالثُّلُــثُ؟ قَالَ : « الثُّلُثُ ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ » . قَالَ : فَأَوْصَى النَّاسُ بِالثُّلُث ، وَجَازَ ذَلِكَ لَهُمْ . أى فكانت الوصية بالثلث جائزة ، واســتقر الإجمــاع علــى منــع الوصية فى وجوه الخير بأزيد من الثلث إذا كان له وارث ، أما إذا لم يكن لــه

وارث فهى جائزة بأكثر من الثلث عند الحنفية ، وممنوعة عند الجمهور .

٣٩٣٦ – وبلفظ : مِنْ مَرَضٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه ، بَلَغَ بِى مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى ... إلاَّ ابْنَةٌ لِى وَاحِدَةٌ ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَىْ مَالِى ... « الثُّلُثُ يَا سَعْدُ ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ، ... وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً ... إلاَّ آجَرَكَ اللَّهُ بِهَا ...

٥٦٥٩ – وبلفظ : تَشَكَّيْتُ بِمَكَّةَ شَكْوًا شَدِيدًا ، فَجَاءَنِى النَّبِىُّ ﷺ يَعُودُنِى ، فَقُلْتُ : يَا نَبِىَّ اللَّه ، إِنِّى أَتْرُكُ مَالا ، وَإِنِّى لَمْ أَتْرُكْ إِلاَّ ابْنَةً وَاحِدَةً ، فَأُوصِى بِثُلُثَىْ مَالِى وَأَتْرُكُ الثُّلُثَ ؟ فَقَالَ : « لاَ » . قُلْتُ : فَأُوصِى بِالنِّصْفِ وَأَتْرُكُ النِّصْفَ ؟ قَالَ : « لاَ » . قُلْتُ : فَأُوصِى بِالثُّلُثِ وَأَتْرُكُ لَهَا الثُّلُثَيْنِ ؟ قَالَ : « الثُّلُثُ ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ » . ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِه ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِى وَبَطْنِى ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا ، وَأَتْمِمْ لَهُ هِجْرَتَهُ » . فَمَا زِلْتُ أَجِدُ بَرْدَهُ عَلَى كَبِدِى فِيمَا يُخَالُ إِلَىَّ حَتَّى السَّاعَةِ .

وفى عام فتح مكة حصل لسعد ﷺ القصة التالية :

٢٠٥٣ – عَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ : كَانَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ عَهِدَ إِلَى أَخِيه سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ أَنَّ ابْنَ وَلِيدَةِ زَمْعَةَ مِنِّى فَاقْبِضْهُ – وكان أهل الجاهلية يقتنون الجوارى ، ويقررون عليهن الضرائب ، من كسبهن بالفجور ، وكانوا يلحقون النسب بالزناة إذا ادعوا الولد – قَالَتْ : فَلَمَّا كَانَ عَامَ الْفَتْحِ أَخَذَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ ، وَقَالَ : ابْنُ أَخِى ، قَدْ عَهِدَ إِلَىَّ فِيه . فَقَامَ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ ، فَقَالَ : أَخِى ، وَابْنُ وَلِيدَةِ أَبِى ، وُلِدَ عَلَى فِرَاشِه . فَتَسَاوَقَا إِلَى النَّبِىِّ ﷺ . فَقَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّه ، ابْنُ أَخِى ، كَانَ قَدْ عَهِدَ إِلَىَّ فِيه . فَقَالَ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ : أَخِى وَابْنُ وَلِيدَةِ أَبِى ، وُلِدَ عَلَى فِرَاشِه . فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بْنَ زَمْعَةَ » . ثُمَّ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ – أى الولد ينسب لصاحب الفراش مهما كانت الشبهة – وَلِلْعَاهِرِ –

الزانية ، وكذا الزانى - **الْحَجَرُ** - الخيبة والحرمان » . **ثُمَّ قال لِسَوْدَة بِنْتِ زَمْعَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ ﷺ** : « **احْتَجِبِى مِنْهُ** » - يا سودة ، أى من الولد الذى ألحقه بأبيها على أنه أخوها من أبيها فاعتبره أجنبيًا عنها ، واعتبره ابن عتبة بن أبى وقاص احتياطا ودفعا للشبهة - **لِمَا رَأَى مِنْ شَبَهِهِ بِعُتْبَةَ** ، **فَمَا رَآهَا حَتَّى لَقِىَ اللَّهَ** .

٢٢١٨ - وبلفظ : **اخْتَصَمَ سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ وَعَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ فِى غُلَامٍ ، فَقَالَ سَعْدٌ : هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ أَخِى عُتْبَةَ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ ، عَهِدَ إِلَىَّ أَنَّهُ ابْنُهُ ، انْظُرْ إِلَى شَبَهِهِ . وَقَالَ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ : هَذَا أَخِى يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ عَلَى فِرَاشِ أَبِى مِنْ وَلِيدَتِهِ . فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَبَهِهِ ، فَرَأَى شَبَهًا بَيِّنًا بِعُتْبَةَ ، فَقَالَ : « هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ ، الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ، وَاحْتَجِبِى مِنْهُ يَا سَوْدَةُ بِنْتَ زَمْعَةَ » . فَلَمْ تَرَهُ سَوْدَةُ قَطُّ** .

٢٤٢١ - وبلفظ : **اخْتَصَمَا ... فِى ابْنِ أَمَةِ زَمْعَةَ ، فَقَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصَانِى أَخِى إِذَا قَدِمْتُ** - مكة - **أَنْ أَنْظُرَ ابْنَ أَمَةِ زَمْعَةَ ، فَأَقْبِضَهُ ، فَإِنَّهُ ابْنِى ... »** .

عمر يعزل سعداً من إمارة الكوفة رضى الله عنهما

٧٥٥ - **عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ** رضي الله عنه **قَالَ : شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ** رضي الله عنه - المقصود سعد بن أبى وقاص ، وكان عمر رضي الله عنه أمره على جيش المسلمين لقتال الفرس ، سنة أربع عشرة ، ففتح الله العراق على يديه . ثم خطط لمدينة الكوفة سنة سبع عشرة ، واستمر عليها أميرًا إلى سنة إحدى وعشرين ، فشكاه بعض أهل الكوفة - **فَعَزَلَهُ** ، **وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا** ، **فَشَكَوْا** - مؤخر من تقديم ، وهو تفسير لقوله "شكا أهل الكوفة ، فالشكوى قبل العزل - **حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّى** - ذكر ابن سعد أنهم زعموا فى

شكواهم أنه حابى فى بيع أرض ، وأنه صنع على داره بابا مبوبا من خشب ، وأنه كان يلهيه الصيد عن الخروج مع السرايا - **فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ** - عمر ، فجاء - **فقال : يا أَبَا إِسْحَاق ، إنّ هؤُلاءِ يزْعُمُون أنّك لا تُحْسنُ تُصلّى ؟ قال أَبُو إِسْحَاقَ : أمّا أنَا واللَّه ، فإنّى كُنْتُ أُصلّى بِهِمْ صَلاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ما أَخْرِمُ عَنْهَا** - ما أنقص - **أُصَلّى صَلاةَ الْعِشاءِ** - فى الحديث ٧٥٨ : "صلاتى العشاء" والمراد بهما الظهر والعصر - **فَأَرْكُدُ فِى** - الركعتين - **الأُولَيَيْنِ وأُخفُّ فِى الأُخْرَيَيْنِ** - أى أقلل القراءة ، وفى الحديث ٧٥٨ : وأحذف فى الآخرين - أى أحذف التطويل - **قَالَ : ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ . فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلا أَوْ رِجَالا إِلَى الْكُوفَةِ** - يسمع المعلومات من مصادرها من كبار أهل الكوفة - **فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إلاَّ سَأَلَ عَنْهُ** - وفى رواية « فطيف به مساجد الكوفة يسألونهم » **وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا** - وفى رواية : « فكلهم يثنى عليه خيرًا » - **حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِى عَبْسٍ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ ، يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ : أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا** - وطلبت منا قول الحق - **فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ ، وَلاَ يَعْدِلُ فِى الْقَضِيَّةِ .**

قَالَ سَعْدٌ : أَمَا وَاللَّهِ لأَدْعُونَّ بِثَلاثٍ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هذَا كَاذِبًا ، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ - روى أنه عمى ، واجتمع عنده عشر بنات ، وكان إذا سمع صوت امرأة تشبث بها - **وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ** - عن حاله ، وقيل له : لماذا أنت كذلك ؟ - **يَقُولُ : شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ ، أَصَابَتْنِى دَعْوَةُ سَعْدٍ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِى فِى الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ .**

قال الإمام مالك : وهو أعدل ممن يأتى بعده إلى يوم القيامة . قيل : عزله حسمًا لمادة الفتنة ، وقيل : إيثارًا لقربه منه ، لكونه من أهل الشورى .

ولما طعن عمر عينه أحد الستة الذين رشحهم للخلافة من بعده ، وقال عنهم : إن رسول الله ﷺ مات وهو عنهم راض ، وقال : إن وليها سعد فذاك ، وإلا فليستعن به الوالى ، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة . وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

وكان له دور كبير فى اختيار عثمان بن عفان ﷺ خليفة للمسلمين ، كما اتضح ذلك عند الكلام على انتخاب خليفة عمر ، فى الحديث رقم :

٣٧٠٠ - عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، قَالَ : كَيْفَ فَعَلْتُمَا ؟ أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لا تُطِيقُ ؟ قَالا : حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِىَ لَهُ مُطِيقَةٌ ، مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ . قَالَ : انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لا تُطِيقُ ، قَالَ : قَالا : لا . فَقَالَ عُمَرُ : لَئِنْ سَلَّمَنِى اللَّهُ لأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِى أَبَدًا . قَالَ : فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ . قَالَ إِ: نِّى لَقَائِمٌ مَا بَيْنِى وَبَيْنَهُ إِلاَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ قَالَ : اسْتَوُوا . حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ ، أَوِ النَّحْلَ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فِى الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ ، فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : قَتَلَنِى - أَوْ أَكَلَنِى - الْكَلْبُ . حِينَ طَعَنَهُ ، فَطَارَ الْعِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ لا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلاَ شِمَالا إِلاَّ طَعَنَهُ حَتَّى طَعَنَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلا ، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا ، فَلَمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ ، فَمَنْ يَلِى عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِى أَرَى ، وَأَمَّا نَوَاحِى الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لا يَدْرُونَ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ وَهُمْ يَقُولُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ . فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاةً خَفِيفَةً ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا . قَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، انْظُرْ

منْ قتَلَنى . فجَالَ ساعَةً ، ثُمَّ جاءَ ، فقَالَ : غُلامُ الْمُغيرَة . قَالَ : الصَّنَعُ ؟ قَالَ : نعَمْ . قَالَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ ، لقَدْ أَمرْتُ به معْرُوفًا ، الْحَمْدُ للَّه الَّذى لَمْ يَجْعَلْ منيَّتى بيدِ رجُلٍ يدَّعى الإسْلاَمَ ، قَدْ كنْتَ أنْتَ وأَبُوك تُحبَّانِ أنْ تكْثُرَ الْعُلُوجُ بالْمدينَة ، وكَانَ { الْعبَّاسُ } أكْثَرهُمْ رَقيقًا . فقَالَ : إنْ شئْتَ فعَلْتُ . أىْ إنْ شئْتَ قَتَلْنَا . قَالَ : كذَبْتَ ، بعْدَ ما تكَلَّمُوا بلسانكُمْ ، وصَلَّوْا قبْلَتكُمْ ، وحَجُّوا حَجَّكُمْ ، فاحْتُملَ إلَى بيْته ، فانطَلَقْنَا معَهُ ، وكَأنَّ النَّاسَ لَمْ تُصبْهُمْ مُصيبَةٌ قبْلَ يوْمئذٍ ، فقَائلٌ يقُولُ : لاَ بأْسَ . وقَائلٌ يقُولُ : أَخَافُ علَيْه ، فأُتىَ بنَبيذٍ فشَربَهُ فَخَرَجَ منْ جوْفه ، ثُمَّ أُتىَ بلَبَنٍ ، فشَربَهُ ، فخَرَجَ منْ جُرْحه ، فعَلمُوا أنَّهُ ميِّتٌ ، فدَخَلْنَا علَيْه ، وجَاءَ النَّاسُ يُثْنُونَ علَيْه ، وجَاءَ رجُلٌ شابٌّ ، فقَالَ : أَبْشرْ ، يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ ببُشْرَى اللَّه لَكَ منْ صُحْبَة رَسُول اللَّه ﷺ وقَدَمٍ فى الإسْلاَمِ ما قَدْ علمْتَ ، ثُمَّ وليتَ فعَدلْتَ ، ثُمَّ شهَادَةٌ . قَالَ : وددْتُ أنَّ ذَلكَ كفَافٌ ، لاَ علَىَّ ولاَ لى . فلَمَّا أدْبرَ ، إذَا إزَارُهُ يمَسُّ الأَرْضَ . قَالَ : رُدُّوا علَىَّ الْغُلاَمَ ، قَالَ ابْنَ أخى : ارْفَعْ ثَوْبَكَ ، فإنَّهُ أبْقَى لثَوْبكَ وأَتْقَى لربِّكَ ، يا عبْدَ اللَّه بْنَ عُمرَ ، انْظُرْ ما علَىَّ منَ الدَّيْنِ . فحَسَبُوهُ ، فوجَدُوهُ ستَّةً وثَمانينَ ألْفًا أوْ نحْوَهُ ، قَالَ : إنْ وفَى لَهُ مالُ آل عُمرَ ، فأَدِّه منْ أمْوَالهمْ ، وإلاَّ فسَلْ فى بَنى عدىِّ بْنِ كعْبٍ ، فإنْ لَمْ تَف أمْوَالُهُمْ ، فسَلْ فى قُرَيْشٍ ، ولاَ تعْدُهُمْ إلَى غيْرهمْ ، فأَدِّ عنِّى هذَا الْمالَ ، انْطَلقْ إلَى عائشَةَ أُمِّ الْمُؤْمنين فقُلْ : يقْرَأُ علَيْك عُمرُ السَّلاَمَ . ولاَ تَقُلْ : أميرُ الْمُؤْمنين . فإنِّى لَسْتُ الْيوْمَ للْمُؤْمنينَ أميرًا ، وقُلْ : يسْتَأْذنُ عُمرُ بْنُ الْخطَّاب أنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحبَيْه . فسَلَّمَ ، واسْتَأْذَنَ ، ثُمَّ دخَلَ علَيْهَا ، فوَجدَهَا قَاعدَةً تبْكى . فقَالَ : يقْرَأُ علَيْك عُمرُ بْنُ الْخطَّاب السَّلاَمَ ، ويَسْتَأْذنُ أنْ يُدْفَنَ معَ صَاحبَيْه . فقَالَتْ : كُنْتُ أُريدُهُ لنَفْسى ، ولأُوثرَنَّ به الْيوْمَ علَى نفْسى . فلَمَّا أقْبلَ قيلَ : هذَا عبْدُ اللَّه ابْنُ عُمرَ قَدْ جاءَ . قَالَ : ارْفَعُونى ، فأَسْندَهُ رجُلٌ إلَيْه ، فقَالَ : مَا لَديْكَ ؟

قَالَ : الَّذى تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ . قَالَ : الْحَمْدُ للَّه ، ما كان مِنْ شَئٍ أَهَمُّ إِلَىَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونى ، ثُمَّ سَلِّمْ ، فَقُلْ يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِى فَأَدْخِلُونى ، وَإِنْ رَدَّتْنى رُدُّونى إلى مقابر الْمُسْلِمين . وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا ، فَوَلَجَتْ عَلَيْه ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ ، فَوَلَجَتْ دَاخلا لَهُمْ ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ . فَقَالُوا : أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ . قَالَ : مَا أَجِدُ أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ أَوِ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ . فَسَمَّى : عَلِيًّا ، وَعُثْمَانَ ، وَالزُّبَيْرَ ، وَطَلْحَةَ ، وَسَعْدًا ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ . وَقَالَ : يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ ، وَلَيْس لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَئٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا ، فَهُوَ ذَاك ، وإلاَّ فَلْيَسْتَعِنْ بِه أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ ، فَإِنِّى لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ وَلاَ خِيَانَةٍ ، وَقَالَ : أُوصى الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِى بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ ، وَأُوصِيه بِالأَنْصَارِ خَيْرًا ، الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَأَن يَعْفَى عن مُسِيئِهِمْ ، وَأُوصِيه بِأَهْلِ الأَمْصَارِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الإِسْلاَمِ ، وَجُبَاةُ الْمَالِ ، وَغَيْظُ الْعَدُوِّ ، وَأَنْ لاَ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلاَّ فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ ، وَأُوصِيه بِالأَعْرَابِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ وَمَادَّةُ الإِسْلاَمِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِى أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، وَأُوصِيه بِذِمَّةِ اللَّـه وَذِمَّةِ رَسُولِه ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلاَّ طَاقَتَهُمْ . فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِه فَانْطَلَقْنَا نَمْشِى ، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ قَالَ : يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ : أَدْخِلُوهُ . فَأُدْخِلَ ، فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْه ، فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِه اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلاَثَةٍ مِنْكُمْ . فَقَالَ الزُّبَيْرُ : قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِى إِلَى عَلِىٍّ . فَقَالَ طَلْحَةُ : قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِى إِلَى عُثْمَانَ . وَقَالَ سَعْدٌ : قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِى إِلَى

عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ فَنجْعَلُهُ إِلَيْهِ ، واللَّهُ عليْهِ والإِسْلاَمُ لَيَنْظُرَنّ أَفْضَلَهُمْ فِى نَفْسِه . فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ ، فقال عبْدُ الرَّحْمَنِ : أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلىَّ ، وَاللَّهُ عَلَىَّ أَنْ لاَ آلُوْ عَنْ أَفْضَلِكُمْ ؟ قالا : نَعَمْ ، فأَخَذَ بيدِ أَحَدِهمَا ، فَقَالَ : لكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والْقَدمُ فِى الإِسْلام ما قَدْ عَلِمْتَ ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ ، ولَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ ولَتُطِيعَنَّ . ثُمَّ خَلاَ بالآخَرِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ . فَبَايَعَهُ ، فَبَايَعَ لَهُ عَلِىٌّ ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ ، فَبَايَعُوهُ .

ولما قتل عثمان طلب منه ابنه أن يدعو لنفسه ، فأبى وقعد ولزم بيته ، وأمر أهله أن لا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام ، واشترى أرضًا مواتًا ، وعاش يحييها ويصلحها ، فقال له ابن أخيه هاشم بن عتبة : إن ههنا مائة ألف سيف يرونك أحق بهذا الأمر ، فقال : أريد منها سيفًا واحدًا ، إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئًا ، وإذاضربت به الكافر قطع .

وسئل على ﷺ عن الذين قعدوا عن بيعته ونصرته والقيام معه – ومنهم سعد – فقال : أولئك قوم خذلوا الحق ، ولم ينصروا الباطل .

مات سعد فى قصره بالعقيق على بعد عشرة أميال من المدينة ، وحمل إلى المدينة على رقاب الرجال ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو ابن بضع وسبعين سنة . سنة أربع وخمسين من الهجرة .

قالوا : ولما حضره الموت دعا بجبة له من صوف ، فقال : كفنونى فيها ، فإنى لقيت المشركين فيها يوم بدر وهى على ، وإنما كنت أخبؤها لهذا . رضى الله عنه وأرضاه .

الزبير بن العوام

أمه صفية بنت عبد المطلب – رضى الله عنها – عمة رسول الله ﷺ ، أسلم وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وقيل : ثمان سنين ، وهاجر الهجرتين ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى .

تزوج أسماء بنت أبى بكر ، وهاجرت وهى حامل منه بولده عبد الله ، فوضعته بقباء ، وكان أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة ، هاجرت به بعد أن هاجر النبى ﷺ بأشهر ، وعاشت مع الزبير عيشة ضيقة ؛ تقول :

٣١٥١ – عَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِى بَكْرٍ – رضى الله عنهما – قالتْ : كُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِى أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِى ، وَهِىَ مِنِّى عَلَى ثُلُثَىْ فَرْسَخٍ .

وعن عروة **أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ أَقْطَعَ الزُّبَيْرَ أَرْضًا مِنْ أَمْوَالِ بَنِى النَّضِيرِ .** وكانت مما أفاء الله على رسوله ﷺ .

٥٢٢٤ – وبلفظ : تَزَوَّجَنِى الزُّبَيْرُ – وكان زواجها بمكة قبل الهجرة ، **وَمَا لَهُ فِى الأَرْضِ مِنْ مَالٍ ، وَلاَ مَمْلُوكٍ ، وَلاَ شَىْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ** – جمل يستقى عليه ، فيحمل عليه الماء من بئر بعيدة إلى البيت – **وَغَيْرَ فَرَسِهِ ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ ، وَأَسْتَقِى الْمَاءَ ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ** – أى أخيط وأرقع دلوه – **وَأَعْجِنُ ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِى مِنَ الأَنْصَارِ ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِى أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِى ، وَهِىَ مِنِّى عَلَى ثُلُثَىْ فَرْسَخٍ ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِى ، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَدَعَانِى ، ثُمَّ قَالَ** – للناقة لتبرك – : **« إِخْ إِخْ » . لِيَحْمِلَنِى خَلْفَهُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ ، وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّى قَدِ اسْتَحْيَيْتُ**

فمضَى ، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ ، فَقُلْتُ : لَقِيَنِى رَسُولُ اللَّه ﷺ وعلى رأسى النـوى ، ومَعَهُ نفَرٌ مِنْ أَصْحَابِه ، فَأَنَاخَ لأَرْكَب ، فاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ، وعرفْتُ غيْرتَـك . فَقَال : واللَّه لَحمْلُك النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَىَّ مِنْ رُكُوبِك مَعَهُ . قَالَتْ : حتَّى أرْسَلَ إِلَىَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ يَكْفِينِى سِيَاسَةَ الْفَرَسِ ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِى .

وكان فارسًا شجاعًا ماهرًا ، اشترك فى جميع غزوات النبى ﷺ ، وأبلى فى غزوة بدر بلاءً حسنًا ، وكان معتجرًا بعمامة صفراء .

٣٩٩٨ - وعن الزُّبَيْرِ ﷺ قال : لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْـنَ سَـعِيد بْـنِ الْعَاصِ وَهْوَ مُدَجَّجٌ لا يُرَى مِنْهُ إِلاَّ عَيْنَاهُ ، وَهْوَ يُكْنَى أَبُو ذَاتِ الْكَرِشِ ، فَقَالَ: أَنَا أَبُو ذَاتِ الْكَرِشِ . فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنَزَةِ ، فَطَعَنْتُهُ فِى عَيْنِهِ ، فَمَاتَ . وفـى رواية : لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِى عَلَيْهِ ثُمَّ تَمَطَّأْتُ ، فَكَانَ الْجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا وَقَد انْثَنَى طَرَفَاهَا . قَالَ عُرْوَةُ فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُـولُ اللَّــه ﷺ فَأَعْطَـاهُ ، فَلَمَّـا قُـبِضَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَخَذَهَا ، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بكرٍ سَـأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا ، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِىٍّ ، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّه بْـنُ الزُّبَيْـرِ ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ .

٣٧٢١ - عن عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِىِّ ﷺ قَالُوا لِلزُّبَيْـرِ يَـوْمَ الْيَرْمُوكِ : أَلاَ تَشُدُّ فَنَشُدَّ مَعَكَ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ - أى على الأعداء - فَـضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ ، بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضُرِبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ . قَالَ عُـرْوَةُ : فَكُنْـتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِى فِى تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ .

٣٩٧٣ - عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : كَانَ فِى الزُّبَيْرِ ثَلاَثُ ضَـرَبَاتٍ بِالـسَّيْفِ ، إِحْدَاهُنَّ فِى عَاتِقِهِ ، قَالَ إِنْ كُنْتُ لأُدْخِلُ أَصَابِعِى فِيهَا . قَالَ : ضُرِبَ ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَوَاحِدَةً يَوْمَ الْيَرْمُوكِ .

قَالَ عُرْوَةُ : وَقَالَ لِى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ حِينَ قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ

يَا عُرْوَةُ ، هَلْ تَعْرِفُ سَيْفَ الزُّبَيْرِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا فِيهِ ؟ قُلْتُ : فِيهِ فَلَّةٌ فُلَّهَا يَوْمَ بَدْرٍ – أى كسرة صغيرة فى حده – قَالَ : صَدَقْتَ – كان عروة مع أخيه عبد الله بن الزبير لما حاصره الحجاج بمكة ، ثم خرج إلى عبد الملك بالشام ، فلما قتل عبد الله أخذ الحجاج ما وجده له ، فأرسل به إلى عبد الملك ، فكان من ذلك سيف الزبير المسئول عنه– بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ ، ثُمَّ رَدَّهُ عَلَى عُرْوَةَ . قَالَ هِشَامٌ : فَأَقَمْنَاهُ – وقومناه وقدرنا قيمته – بَيْنَنَا ثَلاثَةَ آلافٍ ، وَأَخَذَهُ بَعْضُنَا – أى بعض الورثة ، وهو عثمان بن عروة أخو هشام – وَلَوَدِدْتُ أَنِّى كُنْتُ أَخَذْتُهُ .

٣٩٧٤ – وعن عروة قَالَ : كَانَ سَيْفُ الزُّبَيْرِ مُحَلًّى بِفِضَّةٍ ، وَكَانَ سَيْفُ عُرْوَةَ مُحَلًّى بِفِضَّةٍ .

٣٩٧٥ – عن عروة أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ : أَلاَ تَشُدُّ فَنَشُدَّ مَعَكَ ، فَقَالَ : إِنِّى إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ . فَقَالُوا : لاَ نَفْعَلُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ ، فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلا ، فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ – أى أخذ الروم بلجام فرسه – فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ ، بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضُرِبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ .

قَالَ عُرْوَةُ : كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِى فِى تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ .

قَالَ عُرْوَةُ : وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَكَّلَ بِهِ رَجُلا .

وفى غزوة الأحزاب كان له موقف مشرف شجاع يصوره الحديث رقم :

٢٨٤٦ – عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَنْ يَأْتِينِى بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الأَحْزَابِ » ؟ – لما جاء الأحزاب من قريش وغيرهم إلى المدينة ، وبدأ المسلمون بحفر الخندق بلغ المسلمين أن بنى قريظة اليهود قد نقضوا العهد

الذى كان بينهم وبين المسلمين ، ووافقوا قريشًا على حرب المسلمين ، فطلب الرسول ﷺ من صحابته شجاعًا يقوم بالتجسس عليهم ليتأكد من تحركاتهم - قَالَ الزُّبَيْرُ : أَنَا . ثُمَّ قَالَ : « مَنْ يَأْتِينِى بِخَبَرِ الْقَوْمِ » ؟ - فسكتوا ليجند منهم من يختاره - قَالَ الزُّبَيْرُ : أَنَا . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ « إِنَّ لِكُلِّ نَبِىٍّ حَوَارِيًّا ، وَحَوَارِىَّ الزُّبَيْرُ » . والحوارى هو الوزير والناصر ، وقيل : خالص الصحبة.

٢٨٤٧ - عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قَالَ : نَدَبَ النَّبِىُّ ﷺ النَّاسَ ٢٨٤٦ - عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ « مَنْ يَأْتِينِى بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الأَحْزَابِ » . قَالَ الزُّبَيْرُ أَنَا . ثُمَّ قَالَ « مَنْ يَأْتِينِى بِخَبَرِ الْقَوْمِ » . قَالَ الزُّبَيْرُ أَنَا . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ « إِنَّ لِكُلِّ نَبِىٍّ حَوَارِيًّا ، وَحَوَارِىَّ الزُّبَيْرُ » .

٢٩٩٧ - عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - يَقُولُ نَدَبَ النَّبِىُّ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ، قَالَ النَّبِىُّ ﷺ « إِنَّ لِكُلِّ نَبِىٍّ حَوَارِيًّا ، وَحَوَارِىَّ الزُّبَيْرُ » . قَالَ سُفْيَانُ الْحَوَارِىُّ النَّاصِرُ .

٣٧١٩ - عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ « إِنَّ لِكُلِّ نَبِىٍّ حَوَارِيًّا ، وَإِنَّ حَوَارِىَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ » .

٣٧٢٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِى سَلَمَةَ فِى النِّسَاءِ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ ، يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِى قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا ، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ يَا أَبَتِ ، رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ . قَالَ أَوَهَلْ رَأَيْتَنِى يَا بُنَىَّ قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ يَأْتِ بَنِى قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِى بِخَبَرِهِمْ » . فَانْطَلَقْتُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ « فِدَاكَ أَبِى وَأُمِّى » .

وفى غزوة اليرموك كان للزبير موقف بطولى لا مثيل له ، يصوره الأحاديث السابقة أرقام : ٣٧٢١ ، ٣٩٧٣ ، ٣٩٧٤ ، ٣٩٧٥

والحديث :

٣٧١٧ - **عن مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ : أَصَابَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رُعَافٌ شَدِيدٌ سَنَةَ الرُّعَافِ** – وكانت سنة إحدى وثلاثين – **حَتَّى حَبَسَهُ عَنِ الْحَجِّ وَأَوْصَى** – وكتب العهد بعده لعبد الرحمن بن عوف ، واستكتم ذلك كاتبه حمران ، فوشى حمران بذلك إلى عبد الرحمن ، ولم يكن يرغب ، فعاتب عثمان على ذلك ، فغضب عثمان على حمران ، ونفاه من المدينة إلى البصرة – **فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، قَالَ : اسْتَخْلِفْ . قَالَ : وَقَالُوهُ** – أى وطلب المسلمون أن أستخلف ؟ **قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَنْ ؟** – أى ومن رشحوه بعدى ؟ **فَسَكَتَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ – أَحْسِبُهُ الْحَارِثَ – فَقَالَ : اسْتَخْلِفْ . فَقَالَ عُثْمَانُ : وَقَالُوا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ فَسَكَتَ . قَالَ : فَلَعَلَّهُمْ قَالُوا الزُّبَيْرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهُ لَخَيْرُهُمْ مَا عَلِمْتُ** – أى حسب علمى – **وَإِنْ كَانَ لأَحَبَّهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.**

٣٧١٨ - وبلفظ عن مَرْوَانَ قال : كُنْتُ عِنْدَ عُثْمَانَ ، أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ اسْتَخْلِفْ . قَالَ وَقِيلَ ذَاكَ قَالَ نَعَمْ ، الزُّبَيْرُ . قال أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَيْرُكُمْ . ثَلاثًا .

ولا ننسى أن الزبير كان أحد ثلاثة فرسان اختيروا للظعينة ، وهى المرأة التى كانت تحمل خطاب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة .

٣٩٨٣ - **عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : بَعَثَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ وَالزُّبَيْرَ وَكُلُّنَا فَارِسٌ قَالَ : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ » . فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَقُلْنَا الْكِتَابُ . فَقَالَتْ : مَا مَعَنَا كِتَابٌ ؟ فَأَنَخْنَاهَا ، فَالْتَمَسْنَا ، فَلَمْ نَرَ كِتَابًا ، فَقُلْنَا : مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ . فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِىَ**

مُحْتجزَةٌ بكساءٍ فأخْرَجْتهُ ، فانطَلَقْنَا بهَا إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ خانَ اللَّهَ ورَسُولَهُ والمُؤْمِنين ، فدعْنى فلأضْرِبْ عُنُقَهُ . فقالَ النَّبىّ ﷺ : « مَا حمَلَكَ عَلَى مَا صَنعْتَ » ؟ قالَ حَاطِبٌ : واللَّهِ مَا بِى أنْ لا أَكُونَ مُؤْمِنًا باللَّهِ ورَسُولِهِ ﷺ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لى عِنْدَ القَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أهْلِى ومَالِى ، ولَيْسَ أحَدٌ مِنْ أصْحَابِكَ إلاَّ لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ ومَالِهِ . فقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « صَدَقَ ، ولاَ تَقُولُوا لَهُ إلاَّ خَيْرًا » . فقَالَ عُمَرُ : إنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ ورَسُولَهُ والمُؤْمِنين ، فدعْنى فلأضْرِب عُنُقَهُ . فقَالَ : « أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ » ؟ فقَالَ : « لعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إلَى أَهْلِ بَدْرٍ فقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ ، أَوْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وقَالَ : اللَّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ .

وكان قد ملك حديقة نخل فى مقدمة مجرى عين فكانت القصة الآتية :

٢٣٥٩ و ٢٣٦٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رضى الله عنهما - أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلا مِنَ الأنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ فى شِرَاجِ الحَرَّةِ الَّتى يَسْقُونَ بهَا النَّخْلَ ، فقَالَ الأنْصَارِىُّ : سَرِّحِ المَاءَ يَمُرُّ فأبَى عَلَيْهِ ، فاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ للزُّبَيْرِ : « اسْقِ يَا زُبَيْرُ ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إلَى جَارِكَ » . فَغَضِبَ الأنْصَارِىُّ ، فقَالَ : أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ ؟ فتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « اسْقِ يَا زُبَيْرُ ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ ، حَتَّى يَرْجِعَ إلَى الجَدْرِ » . فقَالَ الزُّبَيْرُ : واللَّهِ إنِّى لأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فى ذَلِكَ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) .

---

(١) النساء - الآية : ٦٥ .

تركة الزبير ﷺ :

قلنا : إن الزبير أسلم فقيرًا ، وهاجر فقيرًا ، وبدأ حياته بالمدينة فقيرًا . ولم تسند إليه ولاية تغنيه ، ولم يكن تاجرًا يأتيه المكسب من حيث لا يحتسب ، لكن الرسول ﷺ دعا له بالبركة ، والغازى فى سبيل الله يبارك له فيما يحصل عليه من الغنائم والأسلاب والأثقال ، وهذا ما حصل للزبير .

لقد بلغ به الغنى أن كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فكان لا يدخل بيته من هذا الخراج شيئًا ، يتصدق به كله . ولم يكن يدخر نقودًا ، فلم يترك دينارًا ولا درهمًا ، ولكنه كان يتملك عقارات وأراضى ارتفع سعرها فجاءت بالملايين . وهذا الحديث يصور البركة فى أملاك الزبير :

٣١٢٩ – عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَـوْمَ الْجَمَـلِ دَعَانِى ، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ : يَا بُنَىِّ ، إِنَّهُ لاَ يُقْتَـلُ الْيَـوْمَ إِلاَّ ظَـالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ ، وَإِنِّى لاَ أُرَانِى إِلاَّ سَأُقْتَلُ الْيَوْمَ مَظْلُومًا ، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّى لَدَيْنِى ، أَفَتَرَى يُبْقِى دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا ؟ فَقَالَ : يَا بُنَىِّ ، بِعْ مَالَنَا ، فَاقْضِ دَيْنِـى . وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ ، وَثُلُثِه لِبَنِيهِ ، يَعْنِى عَبْدَ اللَّه بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ : ثُلُثُ الثُّلُـثِ ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَىْءٌ ، فَثُلُثُهُ لِوَلَدِكَ .

قَالَ هِشَامٌ : وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّه قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِى الزُّبَيْرِ خُبَيْبٌ وَعَبَّادٌ ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ . قَالَ عَبْدُ اللَّه : فَجَعَلَ يُوصِـينِى بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ : يَا بُنَىِّ ، إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِى شَىْءٍ فَاسْـتَعِنْ عَلَيْـهِ مَـوْلاَى . قَالَ : فَوَاللَّه مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ : يَا أَبَتِ ، مَنْ مَوْلاَكَ ؟ قَالَ : اللَّـهُ . قَالَ : فَوَاللَّه مَا وَقَعْتُ فِى كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلاَّ قُلْتُ يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ ، اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ . فَيَقْضِيهِ ، فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ ﷺ وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا ، إِلاَّ أَرَضِينَ مِنْهَا الْغَابَةُ ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ ، وَدَارَيْنِ بِالْبَـصْرَةِ ، وَدَارًا بِالْكُوفَـةِ ، وَدَارًا بِمِصْرَ . قَالَ : وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِى عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيـهِ بِالْمَـالِ

فَيسْتودِعهُ إيَّاهُ ، فيَقولُ الزُّبَيْرُ : لا ولَكنَّهُ سلَفٌ ، فإنِّى أَخْشَى عليْه الضَّيْعَة ، ومَا ولِى إمارَةً قَطُّ ولاَ جبَايَةَ خرَاجٍ ولاَ شيْئًا ، إلاَّ أنْ يكُون فى غَـزْوَة مـع النَّبىِّ ﷺ أوْ مَعَ أَبى بكرٍ وعُمَرَ وعُثْمانَ – رضى الله عنهم –

قَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ الزُّبَيْر : فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْه منَ الدَّيْن فوجدْتُهُ أَلْفَىْ أَلْـف ومائتَىْ أَلْف قَالَ : فَلَقىَ حكيمُ بْنُ حزامٍ عبْدَ اللَّه بْنَ الزُّبيْرِ فقَـال : يـا ابْـن أخِى ، كمْ عَلَى أَخِى منَ الدَّيْن ؟ فكَتَمهُ . فقَال : مائةُ أَلْف . فقـال حكيـمٌ : واللَّه ما أُرَى أَمْوالَكُم تَسعُ لهَذه . فقَال لهُ عَبْدُ اللَّه : أفرأيْتك إنْ كانتْ أَلْفَـىْ أَلْف ومائتَىْ أَلْف ؟ قَالَ : مَا أُرَاكُمْ تُطيقُونَ هَذَا ، فَإنْ عجزْتُمْ عَنْ شىْءٍ منْـهُ فَاسْتَعينُوا بى . قَالَ : وكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الْغَابَةَ بسَبْعينَ ومائة أَلْف ، فَباعهَا عَبْدُ اللَّه بأَلْف أَلْف وستِّمائَة أَلْف ، ثُمَّ قَامَ ، فقَالَ : مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْـر حَقٌّ فَلْيُوافنَا بالْغَابَة ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّه بْنُ جعْفَرٍ ، وكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبيْر أَرْبَعُمائَة أَلْف ، فقَال لعَبْد اللَّه : إنْ شئْتُمْ تَركْتُهَا لَكُمْ . قَال عَبدُ اللَّه : لا . قَالَ : فَـإنْ شئْتُمْ جعَلْتمُوهَا فيمَا تُؤَخِّرُونَ إنْ أَخَّرْتُمْ . فقَالَ عبْدُ اللَّـه : لا . قَـالَ : قَـال فَاقْطَعُوا لى قطْعَةً . فقَالَ عَبْدُ اللَّه : لكَ منْ هَا هُنَا إلَى هَا هُنا . قَال : فَبَـاع منْها ، فقَضَى ديْنَهُ ، فَأَوْفَاهُ ، وبَقىَ منْهَا أَرْبعَةُ أَسْهُم ونصْفٌ ، فقَـدمَ عَلَـى مُعَاويَةَ ، وعنْدَهُ عمْرُو بْنُ عُثْمَانَ ، والْمُنْذرُ بْنُ الزُّبيْر ، وابْنُ زَمْعَة ، فقَـال لَهُ مُعَاويَةُ : كمْ قُوِّمَت الْغَابَةُ ؟ قَالَ : كُلُّ سَهْمٍ مائَةَ أَلْف . قَالَ : كَـمْ بَقـىَ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ أَسْهُم ونصْفٌ . قَالَ الْمُنْذرُ بْنُ الزُّبَيْر : قَدْ أَخذْتُ سَـهْمًا بمائَـة أَلْف . قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ : قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بمائَة أَلْف . وقَالَ ابْنُ زَمْعَـة : قَدْ أَخذْتُ سَهْمًا بمائَة أَلْف . فقَالَ مُعَاويَةُ : كَمْ بقىَ ؟ فقَال : سَهْمٌ ونـصْفٌ . قَالَ : أَخذْتُهُ بخَمْسينَ ومائَة أَلْف . قَالَ : وبَاعَ عَبْدُ اللَّه بْنُ جعْفَرٍ نَصيبَهُ مـنْ مُعَاويَة بستِّمائَة أَلْف ، فَلمَّا فَرغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ منْ قَضَاءِ ديْنه ، قَالَ بنُو الزُّبَيْر : اقْسمْ بَيْنَنا ميرَاثَنَا . قَالَ : لاَ ، واللَّه لاَ أَقْسمُ بيْنَكُمْ حتَّى أُنَادىَ بالْمَوْسمِ أرْبَعَ

سنين ألا منْ كانَ لهُ علَى الزُّبَيْرِ ديْنٌ فلْيأْتنا فلْنقْضه . قالَ : فجعَل كلَّ سنة يُنادى بالْموْسمِ ، فلمَّا مضَى أرْبعُ سنين قسمَ بيْنهُمْ .

قالَ : فكانَ للزُّبَيْرِ أرْبعُ نسْوة ، ورفَعَ الثُّلُثَ ، فأصابَ كُلَّ امْرأة ألْفُ ألْف ومائتا ألْف ، فجميعُ ماله خمْسُونَ ألْفَ ألْف ومائتا ألْف .

كان فى معركة الجمل فى صفوف عائشة ، فناداه على فتوافيا ، فقال له على : أنشدك بالله . أسمعت رسول الله ﷺ يقول : إنك تقاتل عليًّا وأنت ظالم له ؟ قال : نعم . ولم أذكر ذلك إلا الآن ، فانصرف من الساحة ، فبلغ الأحنف فقال : حمل على المسلمين ، حتى إذا ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيف أراد أن يلحق ببنيه ، فسمعه عمرو بن جرموز ، فانطلق فكمن له فى وادى السباع فأتاه من خلفه فطعنه فقتله . وذلك فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثين ، وله ست وستون سنة ، رضى الله عنه وعن الصحابة أجمعين .

أبو ذر الغفارى رضي الله عنه

كيف أسلم وماذا قدم ؟

ينسب إلى غفار ، قبيلة من القبائل ذات القوة والمكانة فى الجاهلية والإسلام ، وهى من مضر ، واسمه جنوب وقيل : بربر .

من السابقين إلى الإسلام ، أسلم خامس أربعة ، وقصة إسلامه فى الصحيحين ، عند البخارى برقم :

٣٥٢٢ – عن ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – ألاَ أُخْبِرُكُمْ بِإِسْلاَمِ أَبِى ذَرٍّ ؟ قَالَ : قُلْنَا : بلَى . قَالَ : قَالَ أَبُو ذَرٍّ كُنْتُ رَجُلا منْ غفَار ، فَبلَغَنا أَنَّ رَجُلا قَدْ خَرَجَ بمكَّةَ ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِىٌّ ، فَقُلْتُ لأَخِى : انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنى بِخَبَرِه . فَانْطَلَقَ فلَقِيَهُ ، ثُمَّ رجعَ فَقُلْتُ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّه لَقَدْ رأَيْتُ رَجُلا يأْمُرُ بِالْخَيْرِ ، ويَنْهَى عَنِ الشَّرِّ . فَقُلْتُ لَهُ : لمْ تَشْفِنى مِنَ الْخَبَرِ . فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصًا ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ ، فَجَعَلْتُ : لاَ أَعْرِفُهُ ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، وَأَكُونُ فِى الْمَسْجِدِ . قَالَ : فَمَرَّ بِى عَلِىٌّ ، فَقَالَ : كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعمْ . قَالَ : فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ . قَالَ : فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ لاَ يَسْأَلُنِى عَنْ شَىْءٍ ، وَلاَ أُخْبِرُهُ ، فلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، لأَسْأَلَ عَنْهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِى عَنْهُ بِشَىْءٍ . قَالَ : فَمَرَّ بِى عَلِىٌّ ، فَقَالَ : أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ – أى ما حاق للرجل – يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لاَ . قَالَ : انْطَلِقْ مَعِى . قَالَ : فَقَالَ : مَا أَمْرُكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلْدَةَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : إِنْ كَتَمْتَ عَلَىَّ أَخْبَرْتُكَ ؟ قَالَ : فَإِنِّى أَفْعَلُ. قَالَ : قُلْتُ لَهُ : بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِىٌّ ، فَأَرْسَلْتُ أَخِى لِيُكَلِّمَهُ ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِى مِنَ الْخَبَرِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا إِنَّكَ قَدْ

رَشَدْتَ ، هَذَا وَجْهِى إِلَيْهِ ، فَاتَّبِعْنِى ، ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ ، فَإِنِّى إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ ، قُمْتُ إِلَى الْحَائِطِ ، كَأَنِّى أُصْلِحُ نَعْلِى ، وَامْضِ أَنْتَ ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ ، حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ ، فَقُلْتُ لَهُ : اعْرِضْ عَلَىَّ الإِسْلاَمَ . فَعَرَضَهُ ، فَأَسْلَمْتُ مَكَانِى ، فَقَالَ لِى : « يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ » . فَقُلْتُ : وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ . فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَقُرَيْشٌ فِيهِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنِّى أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ . فَقَامُوا ، فَضُرِبْتُ لأَمُوتَ ، فَأَدْرَكَنِى الْعَبَّاسُ ، فَأَكَبَّ عَلَىَّ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلاً مِنْ غِفَارَ ، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ . فَأَقْلَعُوا عَنِّى ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ ، فَقُلْتُ : مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ ، فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ . فَصُنِعَ { بِى } مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالأَمْسِ ، وَأَدْرَكَنِى الْعَبَّاسُ ، فَأَكَبَّ عَلَىَّ ، وَقَالَ : مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمْسِ . قَالَ : فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلاَمِ أَبِى ذَرٍّ رحمهُ اللَّهُ .

٣٨٦١ - وعنه - رضى الله عنهما - قَالَ : لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ لأَخِيهِ : ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِى ، فَاعْلَمْ لِى عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِى يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِىٌّ ، يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ ائْتِنِى . فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِى ذَرٍّ ، فَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ . فَقَالَ : مَا شَفَيْتَنِى مِمَّا أَرَدْتُ ، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً - قربة - لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ ، فَالْتَمَسَ النَّبِىَّ ﷺ وَلاَ يَعْرِفُهُ ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ ، فَرَآهُ عَلِىٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ . فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَىْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلاَ يَرَاهُ النَّبِىُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى ، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ ، فَمَرَّ بِهِ

علىٌّ ، فقالَ : أمَا نَالَ للرَّجُلِ أنْ يعْلَم منْزِلَهُ فأقَامَهُ ، فَذَهَبَ به معَهُ لا يسْأَلُ واحدٌ منْهُمَا صاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ ، حتَّى إذَا كان يومُ الثَّالث ، فعاد علىٌّ مثْل ذلك ، فأقَامَ معَهُ ، ثُمَّ قَالَ : ألاَ تُحدِّثُنى مَا الَّذى أقْدَمكَ ؟ قَالَ : إنْ أعْطَيْتَنى عَهْدًا وَميثَاقًا لتُرْشِدَنَّنى فعَلْتُ ، ففعَلَ ، فأَخْبَرَهُ . قَالَ : فإنَّهُ حقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ، فإذَا أَصبَحْتَ فَاتبَعْنى ، فإنِّى إنْ رَأَيْتُ شيْئًا أخَافُ علَيْكَ قُمْتُ كَأنِّى أُرِيقُ الْمَاءَ ، فإنْ مَضَيْتُ فاتبَعْنى حتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلى . ففعل ، فانْطَلَق يقْفُوهُ – يتبعه – حتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ ودَخَلَ معَهُ ، فسَمِعَ منْ قوْله ، وأَسْلَمَ مكَانَهُ، فقَالَ لَهُ النَّبِىُّ ﷺ : « ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ ، فأَخْبِرْهُمْ حتَّى يأْتِيكَ أمْرِى » . قَالَ : وَالَّذِى نَفْسى بيَدِه لأصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ ، فَخَرَجَ حتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ ، فَنَادَى بأَعْلَى صَوْته أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللَّه . ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فضَرَبُوهُ حتَّى أضْجَعُوهُ ، وأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ علَيْه قَالَ : ويْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ منْ غفَارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إلَى الشَّأْمِ ؟ فَأَنْقَذَهُ منْهُمْ ، ثُمَّ عَادَ منَ الْغَد لمثْلهَا ، فضَرَبُوهُ وَثَارُوا إلَيْه ، فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْه .

وفى صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامت قَالَ : قَالَ أبُو ذَرٍّ : خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غفَارٍ ، وكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِى أُنَيْسٌ وَأُمُّنَا ، فنزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا ، فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا ، وأَحْسَنَ إِلَيْنَا ، فحَسَدَنَا قَوْمُهُ ، فَقَالُوا : إنَّكَ إذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أُنَيْسٌ – يتهمونه بالخيانة مع زوجة خاله ، فذكر لنا ذلك مصدقًا له – فى رواية : « فَجَاءَ خَالُنَا فَنَثَا عَلَيْنَا – أى أفشى علينا – الَّذِى قِيلَ لَهُ فَقُلْتُ لَهُ : أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفك فَقَدْ كَدَّرْتَهُ وَلاَ جِمَاعَ لَكَ – أى ولا يجمعنا مكان نحن وأنت – فيمَا بَعْدُ . فقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا – أى ركابنا من الإبل – فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا ، وتَغَطَّى خَالُنَا ثَوْبَهُ ، فَجَعَلَ يَبْكِى ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ ، فَنَافَرَ أُنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مثْلهَا – أى تراهن هو وآخر أيهما أفضل ؟ فأيهما كان أفضل أخذ الصرمتين – ، فَأَتَيَا

الْكَاهِنَ – ليحكم بينهما – فَخَيَّرَ أُنَيْسًا – أى حكم بأنه صرفه أنيس أفضل – فَأَتَانَا أُنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا – قَالَ – وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ . قُلْتُ : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ . قُلْتُ : فَأَيْنَ تَوَجَّهُ ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهُ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي أُصَلِّي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ – كأنى كساء لا حراك – حَتَّى تَعْلُوَنِي الشَّمْسُ . فَقَالَ أُنَيْسٌ : إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكْفِنِي . فَانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ ، فَرَاثَ – أبطأ وتأخر – عَلَيَّ ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقُلْتُ : مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ . قُلْتُ : فَمَا يَقُولُ النَّاسُ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : شَاعِرٌ كَاهِنٌ سَاحِرٌ . وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ . قَالَ أُنَيْسٌ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . قَالَ : قُلْتُ : فَاكْفِنِي – أى باشر أمورنا هنا – حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ . قَالَ : فَأَتَيْتُ مَكَّةَ فَتَضَعَّفْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ – أى نظرت إلى أضعف رجل منهم – فَقُلْتُ : أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِئَ ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : الصَّابِئَ. فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدَرَةٍ – حصاة الطين – وَعَظْمٍ حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ – قَالَ – فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ من كثرة الدماء – قَالَ – فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ ، فَغَسَلْتُ عَنِّي الدِّمَاءَ ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا ، وَلَقَدْ لَبِثْتُ يَا ابْنَ أَخِي ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ – ثنايا – بَطْنِي ، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ وضعف جوع – قَالَ – فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ – طالع ومنير قمرها – إِضْحِيَانَ – مضيئة كالضحى – إِذْ ضُرِبَ عَلَى أَسْمِخَتِهِمْ – صماخ الأذن باطنها – فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ وَامْرَأَتَيْنِ – أى ورأيت امرأتين – مِنْهُمْ تَدْعُوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةَ – صنمان لقريش – قَالَ – فَأَتَتَا عَلَيَّ فِي طَوافهما فَقُلْتُ – مخاطبًا إسافا ونائلة – : أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الْأُخْرَى – قَالَ : فَمَا تَنَاهَتَا عَنْ

قوْلِهِمَا – قَالَ – فَأَتَتَا عَلَيَّ ، فَقُلْتُ : هَنٌ – أى ذكر إساف – مِثْلُ الْخَشَبَةِ غَيْرَ أَنِّى لاَ أَكْنِى – أصرح بالكلمة المستقبحة ولا أستعمل بدلها الكناية – فَانْطَلَقَتَا تُوَلْوِلاَنِ وَتَقُولاَنِ : لَوْ كَانَ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا – لعاقب هذا الرجل القبيح – قَالَ : فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا هَابِطَانِ قَالَ : « مَا لَكُمَا » ؟ قَالَتَا : الصَّابِئُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا – تقصدان أبا ذر – قَالَ : « مَا قَالَ لَكُمَا » ؟ قَالَتَا : إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلأُ الْفَمَ – أى عظيمة القبح – وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ ثُمَّ صَلَّى ، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلاَمِ – قَالَ – فَقُلْتُ : السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » . ثُمَّ قَالَ : « مَنْ أَنْتَ » ؟ قَالَ : قُلْتُ مِنْ غِفَارٍ – قَالَ – فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ ، فَقُلْتُ فِى نَفْسِى : كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ . فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ ، فَقَدَعَنِى – كفنى ومنعنى – صَاحِبُهُ ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّى ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « مَتَى كُنْتَ هَا هُنَا » ؟ قَالَ : قُلْتُ : قَدْ كُنْتُ هَا هُنَا مُنْذُ ثَلاَثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ . قَالَ : « فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ » ؟ قَالَ : قُلْتُ : مَا كَانَ لِى طَعَامٌ إِلاَّ مَاءُ زَمْزَمَ . فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِى ، وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِى سُخْفَةَ جُوعٍ قَالَ : « إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ » . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِى فِى طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ . فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا ، فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا ، ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ – أى بقيت ما بقيت – ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِى أَرْضٌ – أى أريت جهتها – ذَاتُ نَخْلٍ لاَ أُرَاهَا إِلاَّ يَثْرِبَ ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّى قَوْمَكَ ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ » . فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا ، فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ : صَنَعْتُ أَنِّى قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ . قَالَ : مَا بِى رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ فَإِنِّى قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ . فَأَتَيْنَا أُمَّنَا ، فَقَالَتْ : مَا بِى

رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُما فَإِنِّى قَدْ أَسْلَمْتُ وصَدَّقْتُ . فَاحْتَمَلْنَا حتَّى أَتَيْنا قَوْمَنا غِفَاراً ، فأسْلم نصفُهُمْ وكان يؤُمُّهُمْ إيماءُ بْنُ رحضة الْغِفارِىُّ وكان سَيِّدَهُمْ . وقال نصْفُهُمْ : إذا قدم رسُولُ اللَّه ﷺ الْمدِينة أسْلمْنا . فقدم رسُولُ اللَّـه ﷺ الْمدِينة فَأَسْلَمَ نصْفُهُمُ الْبَاقِى ، وجَاءَتْ أَسْلَمُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه إخْوَتُنَا نُسْلِمُ عَلَى الَّذِى أَسْلَمُوا عَلَيْهِ . فَأَسْلَمُوا فقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « غِفارُ غفر اللَّهُ لها ، وأسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ » .

وفى حديث إسلام أبى ذر جواز الجهر بالحق فى مواجهة من يخشى منه الأذية وجواز عدم الجهر أيضًا ، والحق أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والمقاصد .

وفيه فضيلة لعلى ﷺ ، ومكرمة للعباس وجودة فطنته حتى توصل لتخليصه منهم بتخويفهم من قومه بأن يقطعوا عليهم طريق تجارتهم .

وفيه منقبة عظيمة لأبى ذر وأخيه أنيس ولأمهما رضى الله عنهم .

وانصرف أبو ذر وأخوه وأمه إلى بلادهم ، فأقاموا بها ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ومضت غزوة بدر ، وغزوة أحد ، ولم تتهيأ له الهجرة إلا بعد ذلك .

كان رسول الله يحادثه إذا حضر ، ويسأل عنه إذا غاب .

٥٨٢٧ – فعَنِ أَبَى ذَرٍّ ﷺ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ ؛ وَهْوَ نَائِمٌ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ ؛ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ ، فَقَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ ، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » . قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » . قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » . قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِى ذَرٍّ » . وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ : وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ

أَبِى ذَرٍّ .

١٢٣٧ – وعَنْ أَبِى ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « أَتَانِى آتٍ مِنْ رَبِّى فَأَخْبَرَنِى – أَوْ قَالَ بَشَّرَنِى – أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِى لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ » . قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ».

الحديث يدل على أن عاقبته دخول الجنة ، سواء جوزى على سيئاته كالزنا والسرقة ، أو أدركه عفو الله .

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة ، أما المعتزلة والخوارج فمرتكب الكبيرة عندهم مخلد فى النار إن مات من غير توبة .

١٤٠٨ – وبلفظ : قَالَ لِى خَلِيلِى – قَالَ : قُلْتُ : مَنْ خَلِيلُكَ ؟ قَالَ : النَّبِىُّ ﷺ « يَا أَبَا ذَرٍّ أَتُبْصِرُ أُحُدًا » . قَالَ : فَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِىَ مِنَ النَّهَارِ وَأَنَا أُرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ يُرْسِلُنِى فِى حَاجَةٍ لَهُ ، قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « مَا أُحِبُّ أَنَّ لِى مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ كُلَّهُ إِلاَّ ثَلاَثَةَ دَنَانِيرَ » . وَإِنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يَعْقِلُونَ ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا . لاَ وَاللَّهِ لاَ أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا ، وَلاَ أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ .

٢٣٨٨ – وبلفظ : كُنْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فَلَمَّا أَبْصَرَ – يَعْنِى أُحُدًا – قَالَ « مَا أُحِبُّ أَنَّهُ يُحَوَّلُ لِى ذَهَبًا يَمْكُثُ عِنْدِى مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلاَثٍ ، إِلاَّ دِينَارًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ » – أى أعده وأهيئه لسداد دين – ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ – إن الأكثرين مالا هم الأقلون حسنات يوم القيامة – إِلاَّ مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا » . وَأَشَارَ أَبُو شِهَابٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ – وَقَلِيلٌ مَا هُمْ – وَقَالَ : مَكَانَكَ – الزم مكانك ولا تبرحه – وَتَقَدَّمَ غَيْرَ بَعِيدٍ – فى رواية : فى سواد الليل ، حتى توارى عنى ، فأطال اللبث – فَسَمِعْتُ صَوْتًا ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ مَكَانَكَ حَتَّى آتِيَكَ ، فَلَمَّا جَاءَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الَّذِى سَمِعْتُ أَوْ قَالَ الصَّوْتُ الَّذِى سَمِعْتُ قَالَ : « وَهَلْ

سمعت » ؟ قُلْتُ : نعمْ . قَالَ : « أتاني جبْريلُ عليه السلام فقال : منْ ماتَ منْ أُمَّتكَ لا يُشْرِكُ باللَّه شَيئًا دخلَ الْجَنَّةَ » . قُلْتُ: وإنْ فعَلَ كذا وكذا ؟ قَالَ : « نَعَمْ ».

٣٢٢٢ - وعَنْ أبي ذرٍّ رضي الله عنه قالَ : قَالَ النَّبيُّ ﷺ : « قَالَ لي جبْريلُ : مَنْ مَاتَ منْ أُمَّتكَ لا يُشْرِكُ باللَّه شَيْئًا دخلَ الْجَنَّةَ ، أوْ لمْ يدْخُلِ النَّارَ ، قَالَ : وإنْ زَنَى وإنْ سرَقَ ؟ قَالَ : وإنْ » .

وفي رواية عند أحمد عَنْ أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : أتَاني نَبيُّ اللَّه ﷺ وأنَا نَائمٌ في مَسْجد الْمَدينَة ، فَضرَبَني برجْله ، فَقَالَ : « ألاَ أرَاكَ نَائمًا فيه » ؟ قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبيَّ اللَّه غَلَبَتْني عَيْني . قَالَ : « كَيْفَ تَصنَعُ إذَا أُخْرجْتَ منْهُ » ؟ قَالَ : آتي الشَّامَ الأرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الْمُبَاركَةَ . قَالَ : « كَيْفَ تَصنَعُ إذَا أُخْرجْتَ منْهُ » ؟ قَالَ : مَا أَصنَعُ يَا نَبيَّ اللَّه ؟ أَضْربُ بسَيْفي . فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ منْ ذَلكَ وَأَقْربُ رُشْدًا تَسْمَعُ وَتُطيعُ ، وَتَنْسَاقُ لَهُمْ حَيْثُ سَاقُوكَ » .

وعاش أبو ذر حياة الزهد والتقشف ، كما عاشها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

ثم ذهب إلى الشام فرأى عيش معاوية والعز والترف والأبهة والسلطان. والتطرف يخلق التطرف ، فاتخذ لنفسه مذهبًا أن ما زاد على حاجة الإنسان من الأموال يجب على المسلم أن يخرجه في سبيل الله . وما زاد على حاجة الإنسان يعد كنزًا ، يدخل صاحبه في الكانزين الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١).

---

(١) سورة التوبة - الآيتان : ٣٤ ، ٣٥ .

وأخذ يذيع هذا المذهب فى كل مكان يجلس فيه ، وجمع له معاوية علماء الشام ليناقشوه ويقنعوه ، فحاولوا أن يقنعوه بأن ما أخرجت زكاته ليس بكنز . أو أن الآية فى أهل الكتاب ، إذ أولها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أو أن الآية كانت قبل أن تفرض الزكاة .

ولم تفلح محاولة العلماء ، بل زادت أبا ذر تمسكًا برأيه ، وإصرارًا على إعلانه فى الشوارع والمساجد والمجتمعات يقول : بشر الكانزين برضف – حجر – يحمى عليه فى نار جهنم ، ثم يوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه – عظم كتفه – ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه ، يتزلزل ...

١٤٠٧ – وعَنْ الأَحْنَف بْنِ قَيْسٍ قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى مَلإٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَجاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الشَّعْرِ وَالثِّيَاب وَالْهَيْئَة حتَّى قام عليْهِمْ ، فسلَّم ، ثُمَّ قَالَ : بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْىِ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفِهِ ، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفِه حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيِه يَتَزَلْزَلُ ، ثُمَّ وَلَّى فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ ، وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْه ، وَأَنَا لاَ أَدْرِى مَنْ هُوَ فَقُلْتُ لَهُ : لاَ أُرَى الْقَوْمَ إِلاَّ قَدْ كَرِهُوا الَّذِى قُلْتَ . قَالَ : إِنَّهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا .

أقلق هذا الموقف معاوية وأزعج الكثيرين ، فكتب معاوية إلى عثمان : إن كان لك بالشام حاجة فابعث إلى أبى ذر ، فكتب إليه عثمان ، أن اقدم على . فقال له ناس من أهل الكوفة : لا تذهب ، وانصب له العداء ، ونحن معك ، فقال : إن له حق السمع والطاعة ، ولو أن عثمان سيرنى من المشرق إلى المغرب لسمعت وأطعت .

ودخل على عثمان ، فكشف رأسه لينفى عن نفسه أن يكون من الخوارج ، وسيماهم حلق رءوسهم ، وقال : والله ما أنا منهم . والله لو أمرتنى أن أقوم ما قعدت . قال له عثمان : أنت الذى تزعم أنك خير من أبى بكر وعمر ؟ قال : لا . ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أحبكم إلى وأقربكم منى من بقى على العهد الذى عاهدته عليه ، وأنا باق على عهده » يعرض بهم أنهم ليسوا على عهده .

١٤٠٦ – وعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ : مَرَرْتُ بِالرَّبَذَةِ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِى ذَرٍّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَنْزَلَكَ مَنْزِلَكَ هَذَا ؟ قَالَ : كُنْتُ بِالشَّأْمِ ، فَاخْتَلَفْتُ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ فِى الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : نَزَلَتْ فِى أَهْلِ الْكِتَابِ . فَقُلْتُ : نَزَلَتْ فِينَا وَفِيهِمْ . فَكَانَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ فِى ذَاكَ ، وَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ ﷺ يَشْكُونِى ، فَكَتَبَ إِلَىَّ عُثْمَانُ أَنِ اقْدَمِ الْمَدِينَةَ . فَقَدِمْتُهَا فَكَثُرَ عَلَىَّ النَّاسُ حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْنِى قَبْلَ ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُ ذَاكَ لِعُثْمَانَ فَقَالَ لِى : إِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ فَكُنْتَ قَرِيبًا . فَذَاكَ الَّذِى أَنْزَلَنِى هَذَا الْمَنْزِلَ ، وَلَوْ أَمَّرُوا عَلَىَّ حَبَشِيًا لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ .

عاش أبو ذر فى المدينة فترة يمارس فى شوارعها ومجتمعاتها ما مارسه فى الشام ، فخشى عثمان على أهل المدينة ما خشيه عثمان على أهل الشام ، فجاء به وقال له : إن شئت توقفت عن إعلان فتواك ، وإن شئت تنحيت عن المدينة إلى مكان تختاره . قال : والله لا أدع ما أقوله ، واختار الربذة – قرية معروفة بين مكة والمدينة – وكان أبو ذر يغدو إليها فى زمن النبى ﷺ .

وفيها استمر على دعوته ، وزاد فيها حتى نفر الناس منه ، واعتزلوه ، واعتزلوا مجلسه ، فإذا دخل مجلسهم تفرقوا . راجع الحديث ١٤٠٧ المذكور من قريب .

وتوفى بالربذة سنة إحدى وثلاثين ، وتصادف أن خرج حجاج من الكوفة فى ركب مع عبد الله بن مسعود ، وكانوا أربعة عشر راكبًا ، وفــى طــريقهم مروا بالربذة ، فشهدوا أبا ذر ميتًا ، فغسلوه وكفنوه ، ودفنوه بالربذة ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « يرحم الله أبا ذر ، يعيش وحده ، ويموت وحــده ، ويحشر وحده » .

عبد الله بن مسعود ﷺ

ويقال له : ابن أم عبد . وهذه كنية امه ، وينسب إليها لأنها أسلمت وصحبت ، ومات أبوه في الجاهلية . أسلم سادس ستة ، وعن سبب إسلامه يقول : كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبى معيط ، فمر بى رسول الله ﷺ ، فقال : يا غلام . هل من لبن ؟ فقلت : نعم ، ولكن مؤتمن . قال : فهل من شاة حائل، لم ينز عنها الفحل ، فأتيته بشاة ، فمسح ضرعها ، فنزل لبن فحلبه فى إناء وشرب ، وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع : اقلص – أى جف – فقلص ، ثم أتيته بعد هذا ، فقلت : يا رسول الله . علمنى هذا القول – يعنى القرآن – فمسح رأسى ، وقال : يرحمك الله ، فإنك غليم معلم . ثم ضمه إليه الرسول ﷺ فأذن له أن يدخل عليه ، وقال له : إذنك علىَّ أن ترفع الحجاب وأن تسمع صوتى حتى أنهاك – فى رواية : « إذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادى » أى شخصى – وكان يعرف فى الصحابة بصاحب السواد – وفى رواية : « الوساد » وهى المخدة ، وكان يعدها للرسول ﷺ – والسواك ، وكان يلبس رسول الله ﷺ نعليه ، ويحملهما له ، ويمشى أمامه ، ومعه ، ويستره إذا اغتسل ، ويوقظه إذا نام .

١٥٦ – عن عَبْد اللَّهِ ﷺ قال : **أَتَى النَبِيُّ ﷺ الْغَائِط ، فَأَمَرَنِى أَنْ آتِيَهُ بِثَلاثَةِ أَحْجَارٍ ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ ، وَالْتَمَسْتُ الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فَأَخَذْتُ رَوْثَةً ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ وَقَالَ : « هَذَا رِكْسٌ »** – نجس – .

وهذا الحديث ظاهر فى أن الأحجار الثلاثة ليست شرطًا ، فقد اكتفى صلى الله عليه وسلم بحجرين هنا ، كما يجوز الاستجمار بحجر واحد ، والهدف الإنقاء، ولو زاد على ثلاثة أحجار ، ويغنى عن الأحجار فى هذا الزمان مناديل الورق الذى يتشرب ، أو ما يقوم مقامها .

الهجرة الأولى للحبشة والثانية إلى المدينة :

هاجر الهجرتين ، شهد بدرا والمشاهد بعدها ، وآخى النبى ﷺ بينه وبين الزبير ، وبعد الهجرة آخى بينه وبين سعد بن معاذ .

وهو أول من جهر بالقرآن بمكة . اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لهابه قط ، فمن رجل يسمعموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا قويًا يتحمل أذاهم – وكان ابن مسعود ﷺ هزيل الجسم ، أرجله كالعصى ، قصير القامة ، لدرجة أن طوال الأجسام من الرجال إذا جلسوا كانت رءوسهم مساوية لرأس ابن مسعود وهو واقف – إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوا . قال : دعونى فإن الله سيمنعنى ، فغدا ابن مسعود ، حتى أتى المقام فى الضحى ، ثم قرأ بصوت مرتفع : بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن ... ثم أعاد وهم مشدوهون ، ماذا يقول ابن أم عبد . فلما تأملوا قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربونه فى وجهه ، ولطمه أبو جهل ، فشق أذنه ، وعاد ابن مسعود لأصحابه خائر القوى ، فقالوا : هذا الذى خشيناه عليك . قال : ليس عندى من أعداء الله من هم أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأعادينهم بمثلها غدا . قالوا : لا . حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون .

وتمضى الأيام ، ويشترك ابن مسعود فى قتل أبى جهل فى غزوة بدر ، يحز بسيفه رقبة أبى جهل ، فلا يقطع ، وقد فقد أبو جهل الحركة بسيفى ابنى عفراء ، فيقول ابن مسعود : أخزاك الله يا عدو الله . فيرتقى ابن مسعودُ على صدر أبى جهل ، ويضع رجله على عنقه ، ويأخذ سيفه ، ويقطع به رقبته ، ويأتى برأسه يجرها إلى رسول الله ﷺ .

٣٩٦٠ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : اسْتَقْبَلَ النَّبِىُّ ﷺ الْكَعْبَةَ

فدَعَا عَلَى نفرٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، عَلَى شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدِ ابْنِ عُتْبَةَ ، وَأَبِى جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ . فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى ، قَدْ غَيَّرَتْهُمُ الشَّمْسُ ، وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا .

٣٩٦٠ – وعنه ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّى عِنْدَ الْبَيْتِ ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَيُّكُمْ يَجِىءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِى فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ، انْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ ، فَنَظَرَ حَتَّى إِذَا سَجَدَ النَّبِىُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ ، لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا ، لَوْ كَانَ لِى مَنْعَةٌ . قَالَ : فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ ، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ » . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ – قَالَ : وَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِى ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ – ثُمَّ سَمَّى : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِى جَهْلٍ ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ » . وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْهُ قَالَ: فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرْعَى فِى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ .

٣٩٦١ – وعنه ﷺ أَنَّهُ أَتَى أَبَا جَهْلٍ وَبِهِ رَمَقٌ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَلْ أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ ؟ أى هل هناك ما هو أكثر عمدًا وهلاكًا . وأشد عجبًا وأشد غضبًا من رجل عظيم قتلتموه ؟

٣٩٦٢ – وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ » ؟ – فى رواية : « من يأتينا بخبر أبى جهل ؟ » – فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ – إلى ساحة المعركة – فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ – وفتر وسكن ، لكن به رمق – قَالَ : آأَنْتَ أَبُو جَهْلٍ ؟ قَالَ : فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ – ووضع رجله على عنقه ، وكان يؤذى ابن مسعود فى مكة –. قَالَ لقد ارتقيت – يا

رويع الغنم تصغير راع - مرتقا صعبًا - : وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ ، أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ ؟ فاجتز ابن مسعود رأسه ، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رأس عدو الله أبى جهل ، فلم ينظر رسول الله ﷺ فى وجهه ، فقال : الحمد الله الذى أعز الإسلام وأهله . ثلاث مرات .

٣٩٦٣ - وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ : « مَنْ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ » ؟ فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ ، فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ فَقَالَ : أَنْتَ أَبو جَهْلٍ ؟ قَالَ : وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ أَوْ قَالَ قَتَلْتُمُوهُ ؟.

٤٠٢٠ - وعنه ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ : « مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ » ؟ فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ ، فَقَالَ : آنْتَ أَبَا جَهْلٍ ؟ قَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ قَالَ سُلَيْمَانُ هَكَذَا قَالَهَا أَنَسٌ . قَالَ أَنْتَ أَبَا جَهْلٍ ؟ - فأبا جهل منادى - قَالَ : وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ قَالَ سُلَيْمَانُ أَوْ قَالَ قَتَلَهُ قَوْمُهُ . قَالَ وَقَالَ أَبُو مِجْلَزٍ قَالَ أَبُو جَهْلٍ فَلَوْ غَيْرُ أَكَّارٍ قَتَلَنِى .

٣١٤١ - وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ : بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِى الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِى وَشِمَالِى ، فَإِذَا أَنَا بِغُلامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا ، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا ، فَغَمَزَنِى أَحَدُهُمَا فَقَالَ : يَا عَمِّ ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ قُلْتُ نَعَمْ ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِى قَالَ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِى سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا . فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ ، فَغَمَزَنِى الآخَرُ فَقَالَ لِى مِثْلَهَا ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِى جَهْلٍ يَجُولُ فِى النَّاسِ ، قُلْتُ : أَلا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِى سَأَلْتُمَانِى . فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهُ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ ، فَقَالَ : « أَيُّكُمَا قَتَلَهُ » . قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا :

أَنَا قَتَلْتُهُ . فَقَالَ : « هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا » ؟ قَالاَ : لاَ . فَنَظَرَ فِى السَّيْفَيْنِ ، فَقَالَ : « كِلاَكُمَا قَتَلَهُ » . سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ . وَكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ .

عبد الله بن مسعود والقرآن الكريم

٣٧٥٨ – عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رضى الله عنهم – فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَبَدَأَ بِهِ ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِى حُذَيْفَةَ ، وَأُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ » . قَالَ : لاَ أَدْرِى بَدَأَ بِأُبَىٍّ أَوْ بِمُعَاذٍ .

٥٠٠٢ – عن مسروق قال : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ : وَاللَّهِ الَّذِى لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلاَّ أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ ؟ وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلاَّ أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ ؟ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّى بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ .

٤٩٩٩ – عَنْ مَسْرُوقٍ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ : لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : « خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَالِمٍ ، وَمُعَاذٍ ، وَأُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ » .

٥٠٠٠ – شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ : خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً – وأخذ الباقى من الصحابة – وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِىِّ ﷺ أَنِّى مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ . قَالَ شَقِيقٌ : فَجَلَسْتُ فِى الْحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ ، فَمَا سَمِعْتُ رَادًّا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ .

٣٥٠٦ – وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُثْمَانَ دَعَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ

الزُّبَيْرِ ، وسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ ، وعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، فَنَسَخُوهَا فِى الْمَصَاحِفِ ، وقَالَ عُثْمَانُ للرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنتُمْ وزَيْدُ ابْنُ ثَابِتٍ فِى شَىْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ . فَفَعَلُوا ذَلِكَ .

٤٩٨٤ – وعنه ﷺ فَأَمَرَ عُثْمَانُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ ، وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ أَنْ يَنْسَخُوهَا فِى الْمَصَاحِفِ وقَالَ لَهُمْ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِى عَرَبِيَّةٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهَا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا .

٤٩٨٧ – وعنه ﷺ حَدَّثَ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وكَانَ يُغَازِى أَهْلَ الشَّأْمِ فِى فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلافُهُمْ فِى الْقِرَاءَةِ – فى رواية : « فإذا أهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام ، فيكفر بعضهم بعضًا ، فغضب حذيفة ، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان رضى الله عنهما – فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِى الْكِتَابِ اخْتِلافَ الْيَهُودِ والنَّصَارَى ، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِى إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِى الْمَصَاحِفِ ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ ، وعَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِى الْمَصَاحِفِ ، وقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِى شَىْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ؛ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِى الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ ، وأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا ، وأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِى كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ .

٤٩٨٦ – عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ : أَرْسَلَ إِلَىَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ

الْيَمَامَة ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب عنْدَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : إِنَّ عُمَر أَتَانِى ، فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَد اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَة بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّى أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ منَ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّى أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ . قُلْتُ لعُمَرَ : كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ ؟ قَالَ عُمَرُ : هَذَا وَاللَّه خَيْرٌ . فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِى حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِى لِذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ فِى ذَلِكَ الَّذِى رَأَى عُمَرُ . قَالَ زَيْدٌ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْىَ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ ، فَاجْمَعْهُ ، فَوَاللَّه لَوْ كَلَّفُونِى نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَىَّ مِمَّا أَمَرَنِى مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ . قُلْتُ : كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ ؟ قَالَ : هُوَ وَاللَّه خَيْرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِى حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِى الَّذِى شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ - رضى الله عنهما - فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِى خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِىِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَد غَيْرَهُ ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ (١) حَتَّى خَاتِمَة بَرَاءَةَ ، فَكَانَت الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِى بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ﷺ .

واختيار زيد بن ثابت لهذه المهمة مبنى على أربع صفات ، تقتضى خصوصيته بذلك :

١. كونه شابًا فيكون أنشط لما يطلب منه .

٢. وكونه عاقلا فيكون أوعى له .

٣. وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه .

٤. وكونه كان يكتب الوحى فيكون أكثر ممارسة له .

---

(١) سورة التوبة – الآية : ١٢٨ .

وهذه الصفات قد لا توجد مجتمعة فى غيره ، لكنها قد توجد فى غيره مفرقة .

نعم هذا الاختيار لهذه اللجنة أغضب عبد الله بن مسعود ؛ إذ أهمل فى هذه المهمة إهمالا كاملا مع أنه فى تقدير نفسه لا يقل عن بقية الأعضاء . ولكن صاحب الحق فى الاختيار – لا يطلب منه إبداء الأسباب .

نعم شق على ابن مسعود إبعاده عن كتابة المصحف ، فأعلن اعتراضه على إسناد هذه المهمة لزيد بن ثابت ، وقال : يا معشر المسلمين : أعزل عن نسخ المصاحف ، ويتولاها رجل ، والله لقد أسلمت وإنه لفى صلب رجل كافر؟ لقد أخذت من فىّ رسول الله ﷺ سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبى من الصبيان . ورفض عبد الله بن مسعود أن يحرق مصحفه .

عبد الله بن مسعود والفقه

وكان رضى الله عنه فقيهًا ، عليمًا بالأحكام الشرعية ، يعلمها الناس بالكوفة ، ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، والأحداث الآتية شاهد على ما نقول :

٦٧٣٦ – عن هُزَيْلَ بْنَ شُرَحْبِيلَ قَالَ : سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنِ ابْنَةٍ وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ . فَقَالَ لِلابْنَةِ : النِّصفُ وَلِلأُخْتِ النِّصْفُ ، وَأْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ فَسَيُتَابِعُنِى . فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِى مُوسَى ، فَقَالَ : لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، أَقْضِى فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِىُّ ﷺ : « لِلابْنَةِ النِّصْفُ ، وَلابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ ، وَمَا بَقِىَ فَلِلأُخْتِ » . فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَالَ : لاَ تَسْأَلُونِى مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ .

٦٧٤٢ – قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لأَقْضِيَنَّ فِيهَا بِقَضَاءِ النَّبِىِّ ﷺ لِلابْنَةِ النِّصْفُ ، وَلابْنَةِ الابْنِ السُّدُسُ ، وَمَا بَقِىَ فَلِلأُخْتِ .

٤٣٩١ - وعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ ، فَجَاءَ خَبَّابٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَيَسْتَطِيعُ هَؤُلاَءِ الشَّبَابُ أَنْ يَقْرَءُوا كَمَا تَقْرَأُ ؟ قَالَ : أَمَا إِنَّكَ لَوْ شِئْتَ أَمَرْتُ بَعْضَهُمْ يَقْرَأُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : أَجَلْ . قَالَ : اقْرَأْ يَا عَلْقَمَةُ . فَقَالَ زَيْدُ بْنُ حُدَيْرٍ أَخُو زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ : أَتَأْمُرُ عَلْقَمَةَ أَنْ يَقْرَأَ وَلَيْسَ بِأَقْرَئِنَا ؟ قَالَ : أَمَا إِنَّكَ إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْمِكَ وَقَوْمِهِ - وكان النبى ﷺ قد مدح قوم علقمة (النخع) ، وذم قوم زياد (بنى أسد) - فَقَرَأْتُ خَمْسِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا أَقْرَأُ شَيْئًا إِلاَّ وَهُوَ يَقْرَؤُهُ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى خَبَّابٍ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ : أَلَمْ يَأْنِ لِهَذَا الْخَاتَمِ أَنْ يُلْقَى ؟ قَالَ : أَمَا إِنَّكَ لَنْ تَرَاهُ عَلَيَّ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَأَلْقَاهُ . ربما كان خباب يظن أن نهى الرجال عن خواتيم الذهب للتنزيه ، فأفهمه ابن مسعود ﷺ أنه للتحريم ، فاستجاب فورًا .

٤٨٨٦ - وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ ، فَجَاءَتْ ، فَقَالَتْ : إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ . فَقَالَ : وَمَا لِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ فَقَالَتْ : لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ . قَالَ : لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ ، أَمَا قَرَأْتِ ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (١) ؟ قَالَتْ : بَلَى . قَالَ : فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ . قَالَتْ : فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ . قَالَ : فَاذْهَبِي فَانْظُرِي . فَذَهَبَتْ ، فَنَظَرَتْ ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا ، فَقَالَ : لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعَتْنَا . أى ما اجتمعت معها فى عشرة واحدة ، أو من الجماع الذى هو الوطء .

---

(١) سورة الحشر - الآية : ٧ .

٤٨٨٧ – عن علقمة عَنْ عَبْدِ اللَّه ﷺ قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّه ﷺ الْوَاصِلَةَ ، فَقَالَ : سَمِعْتُهُ مِن امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ عَنْ عَبْدِ اللَّه ﷺ .

كان يعظ الناس ، لكنه كان يراعى وقتًا للراحة ، ووقتًا للجهد ، فيترك المداومة فى الجد والعمل مخافة السآمة والملل ، ولما طلب أصحابه منه أن يزيد من وقت الجد والوعظ حبًا فى علمه . قال : لم تخف علىّ رغبتكم ، لكننى أقتدى بالنبى ﷺ ، فقد كان يتخولنا بالموعظة كراهة السآمة علينا .

ورآه عثمان ﷺ فى ثياب غير ثياب الزينة ، وفى هيئة ليست هيئة الرعاية والعناية ، فظن أن امرأته ماتت أو مرضت حتى عجزت ، فأشار عليه بالزواج بأخرى شابة تعيد إليه ما كان عنده فى شبابه من حيوية ونشاط .

٥٠٦٥ – عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّه ، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ بِمِنًى ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِنَّ لِى إِلَيْكَ حَاجَةً . فَخَلَيَا ، فَقَالَ عُثْمَانُ : هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِى أَنْ نُزَوِّجَكَ بِكْرًا ، تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّه أَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا أَشَارَ إِلَىَّ ، فَقَالَ : يَا عَلْقَمَةُ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ – أى وعثمان يقول لعبد الله : أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِىُّ ﷺ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ » .

١٤٦٦ – عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّه رضى الله عنهما – قَالَتْ : كُنْتُ فِى الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ : « تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ » . وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللَّه وَأَيْتَامٍ فِى حَجْرِهَا ، قَالَ : فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّه : سَلْ رَسُولَ اللَّه ﷺ أَيَجْزِى عَنِّى أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامِى فِى حَجْرِى مِنَ الصَّدَقَةِ ؟ فَقَالَ : سَلِى أَنْتِ رَسُولَ اللَّه ﷺ – لعله استحيا من سؤاله عن إنفاق امرأته عليه – فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ . فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ، حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِى ، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلالٌ ، فَقُلْنَا : سَلِ النَّبِىَّ ﷺ أَيَجْزِى عَنِّى أَنْ

أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي ؟ وَقُلْنَا : لاَ تُخْبِرْ بِنَا – إتقاء لإحراج أزواجهما – فَدَخَلَ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ: « مَنْ هُمَا » ؟ قَالَ : زَيْنَبُ . قَالَ : « أَيُّ الزَّيَانِبِ » ؟ قَالَ : امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّه . قَالَ – صلى الله عليه وسلم جوابًا عن سؤالهما – : « نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ : أَجْرُ الْقَرَابَةِ ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ » .

واستدل به على جواز دفع الزوجة زكاتها لزوجها ، وهو قول الشافعى وصاحبى أبى حنيفة ورواية عن مالك وأحمد ، ومنعها الباقون ؛ لأنها حينئذ ترجع إليها ، فكأنها لم تخرج زكاتها .

أما الولد فلا يجوز للأم إعطاؤه زكاتها الواجبة ، وقيل : يجوز إعطاؤه عند وجود أبيه ؛ لأنه حينئذ لا تجب عليها نفقته ، ونفقته على أبيه ، ولا يجوز أن تعطيه زكاتها عند عدم أبيه .

ابن مسعود وعثمان رضى الله عنهما

ولما أكثر ابن مسعود من الاعتراض على لجنة المصاحف بعث عثمان إليه يأمره بالخروج من الكوفة إلى المدينة ، فاجتمع عليه الناس ، وقالوا له : أقم ، ولا تخرج ، ونحن نمنعك ونحميك أن يصل إليك شيء تكرهه منه ، فقال لهم عبد الله : إن له علىَّ طاعة ، وإنها ستكون أمور وفتن ، ولا أحب أن أكون أول من فتحها .

فرد الناس وخرج إليه بالمدينة ، ولما حاصر الناس عثمان قال : ما أحب أنى رميت عثمان بسهم .

مات ابن مسعود رحمه الله بالمدينة سنة ثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه الزبير ، ودفنه ليلا ، ولم يعلم عثمان بدفنه بناء على وصيته . مات وهو ابن بضع وستين سنة . رضى الله عنه وأرضاه .

عبد الله بن عمر رضي الله عنه

ولد سنة ثلاث من المبعث ، وهاجر مع أبيه وهو ابن عشر سنين ، وعرض على النبى ﷺ ببدر ، فاستصغره ، ثم عرض عليه بأحد فاستصغره ، ثم عرض عليه بالخندق فأجازه ، وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة .

وفى الحديث :

٤٤٠ – أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ ؛ وَهْوَ شَابٌّ أَعْزَبُ لاَ أَهْلَ لَهُ فِى مَسْجِدِ النَّبِىِّ ﷺ.

وفى الحديث :

١١٢١ – عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ فِى حَيَاةِ النَّبِىِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا ، فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِى الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُ فِى النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِى فَذَهَبَا بِى إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا هِىَ مَطْوِيَّةٌ كَطَىِّ الْبِئْرِ – أى مبنية الحوائط – وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ ، وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ – قَالَ – فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِى : لَمْ تُرَعْ .

١١٢٢ – فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ ، لَوْ كَانَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ » . فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلا .

١١٥٦ – وعَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ : رَأَيْتُ عَلَى عَهْدِ النَّبِىِّ ﷺ كَأَنَّ بِيَدِى قِطْعَةَ إِسْتَبْرَقٍ ، فَكَأَنِّى لاَ أُرِيدُ مَكَانًا مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ طَارَتْ إِلَيْهِ ، وَرَأَيْتُ كَأَنَّ اثْنَيْنِ أَتَيَانِى أَرَادَا أَنْ يَذْهَبَا بِى إِلَى النَّارِ ، فَتَلَقَّاهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ : لَمْ تُرَعْ خَلِّيَا عَنْهُ .

١١٥٧ - **فَقَصَّتْ حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِحْدَى رُؤْيَايَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ » . فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ .**

كان محافظًا على حضور دروس النبي ﷺ ومواعظه لماحًا قوى الملاحظة لها وفهمها ، كما يصوره الحديث رقم :

٦١ - **عَنِ ابْنِ عُمَرَ** - رضى الله عنهما - **قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ » ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ** - أى ذهبت أفكارهم وخاضوا - **فِي شَجَرِ الْبَوَادِي .** - كل يفسرها بنوع ، وذهلوا عن النخلة - **قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ** - أن أجيب ، إذ كنت أصغر القوم ، وفيهم أبو بكر وعمر - **ثُمَّ قَالُوا : حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « هِيَ النَّخْلَةُ » .**

٦٢ - **وعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ » ؟ قَالَ : فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، ثُمَّ قَالُوا : حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « هِيَ النَّخْلَةُ » .**

٧٢ - **وعنه بلفظ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُتِيَ بِجُمَّارٍ** - هو القلب الطرى فى النخلة ، ويؤكل - **فَقَالَ : « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ » . فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُّ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « هِيَ النَّخْلَةُ »** - ففيه أن الفهم فى العلم لا يرتبط بالكبر والصغر ، فقد يفهم الصغير ما لا يفهمه الكبير ، وأن الذكاء يلتقط الخيط الموصل ، فقد التقط ابن عمر أكل الرسول ﷺ للجمار ، فربط بينه وبين السؤال .

١٣١ - **وعنه بزيادة : فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ : لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا .** ففيه أن الحياء فى العلم غير

مستحب ، وفيه رغبة الوالد فى ظهور نجابة ولده .

٢٢٠٩- وعَن ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قال: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ وَهْو يأْكُلُ جُمَّارًا ، فقَال : « منَ الشَّجر شجَرَةٌ كالرَّجُلِ الْمُؤْمن » . فأَرَدْتُ أنْ أَقُولَ هِىَ النَّخْلَةُ . فإذَا أَنَا أَحْدَثُهُمْ قَال : « هِىَ النَّخْلَةُ » .

٤٦٩٨ - وعَن ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قال : كُنَّا عِنْد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقَالَ : « أَخْبِرُونِى بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لا يَتَحاتُّ وَرَقُهَا وَلاَ وَلاَ وَلاَ - قيل فى تفسيره : ولا ينقطع ثمرها ، ولا يعدم فيؤها ، ولا يبطل نفعها - تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ » . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَوَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا - صحيحًا - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هِىَ النَّخْلَةُ » . فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ : يا أَبَتَاهُ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ . فَقَالَ : ما مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ ؟ قَالَ : لَمْ أَرَكُمْ تَكَلَّمُونَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا . قال عُمَرُ : لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ كَذَا وكَذَا .

٥٤٤٤ - وعنه - رضى الله عنهما - قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ جُلُوسٌ إِذْ أُتِىَ بِجُمَّارِ نَخْلَة ، فقَالَ النَّبِىُّ ﷺ " « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بركَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ » . فظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِى النَّخْلَةَ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ : هِىَ النَّخْلَةُ يا رَسُولَ اللَّهِ . ثُمَّ الْتَفَتُّ ، فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ ، أَنَا أَحْدَثُهُمْ ، فَسَكَتُّ ، فقَال النَّبِىُّ ﷺ : « هِىَ النَّخْلَةُ » .

٦١٢٢ - وعنه - رضى الله عنهما - قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مثَل الْمُؤْمنِ كمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ ، لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَلاَ يَتَحَاتُّ » . فقَالَ الْقَوْمُ : هِىَ شَجَرَةُ كذَا . هِىَ شَجَرَةُ كذَا ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ : هِىَ النَّخْلَةُ . وَأَنَا غُلامٌ شَابٌّ فَاسْتَحْيَيْتُ ، فقَالَ : « هِىَ النَّخْلَةُ » . زَادَ فى رواية : فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَر فَقَالَ : لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا لَكَانَ أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا .

٦١٤٤ - وعنه - رضى الله عنهما - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَخْبِرُونِى بِشَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَلاَ تَحُتُّ وَرَقَهَا » . فَوَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فلمَّا لمْ يَتَكَلَّمَا قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « هِىَ النَّخْلَةُ » . فلمّا خرجْتُ مَعَ أَبِى قُلْتُ يَا أَبَتَاهْ وَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ . قَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا . قَالَ مَا مَنَعَنِى إِلاَّ أَنِّى لَمْ أَرَكَ وَلاَ أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا ، فَكَرِهْتُ .

استعمل صلى الله عليه وسلم فى دعوته الطريقة الإلقائية فى خطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء والخسوف وفى المناسبات .

واستعمل الطريقة الاستنباطية فى حلقات الدرس ، يسألهم أحيانًا وينتظر إجابتهم ، كما فى هذا الحديث ، يدربهم على استعمال الفكر ، ويوقظ مشاعرهم ، ويقرب بينه وبينهم ، ويسألهم أحيانا ولا ينتظر إجابتهم ، يل يجيب بسرعة ، كما فى حديث : « ألا أدلكم على أكبر الكبائر » . وفى أكثر الأحيان يعطى العظة عن طريق الإلقاء ، وكثيرًا ما كان يشبه المعقول بالمحسوس ، ليستقر فى النفس ، وتتضح صورة المراد كما فى هذا الحديث ، وبركة النخلة موجودة فى جميع أجزائها ، مستمرة فى جميع أحوالها ، فمن حين يطلع ثمرها يؤكل أنواعًا ، حتى النوى علف للدواب ، والليف يستعمل فى الحبال وغير ذلك .

وكان شديد القدوة والتأسى بالنبى ﷺ حتى فى الإسراع فى السير والبطء فيه ، يصور لنا هذا التحرى الحديث :

١٠٩١ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ :رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ فِى السَّفَرِ يُؤَخِّرُ الْمَغْرِبَ حَتَّى يجْمَعَ بَيْنَهَا وبَيْنَ الْعِشَاءِ . قَالَ سَالِمٌ : وكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَفْعَلُهُ إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ .

١٠٩٢ - قَالَ سَالِمٌ كَانَ ابْنُ عُمَرَ - رضى الله عنهما - يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِالْمُزْدَلِفَةِ . وَكَانَ اسْتُصْرِخَ عَلَى امْرَأَتِهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ - أى استغيث بصوت مرتفع ، وفى رواية : أنها كتبت إليه تعلمه أن بها وجع ، فأسرع العودة والسفر - فَقُلْتُ لَهُ : الصَّلاَةُ . فَقَالَ : سِرْ . فَقُلْتُ : الصَّلاَةُ . فَقَالَ : سِرْ . حَتَّى سَارَ مِيلَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ يُصَلِّى إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ يُؤَخِّرُ الْمَغْرِبَ ، فَيُصَلِّيهَا ثَلاَثًا ثُمَّ يُسَلِّمُ ، ثُمَّ قَلَّمَا يَلْبَثُ حَتَّى يُقِيمَ الْعِشَاءَ فَيُصَلِّيهَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يُسَلِّمُ ، وَلاَ يُسَبِّحُ - أى لا يتنفل - بَعْدَ الْعِشَاءِ حَتَّى يَقُومَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ .

١١٠٦ - وعنه رضى الله عنه قَالَ : كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ إِذَا جَدَّ بِهِ السَّيْرُ . أى إذا رغب فى السير الجاد السريع .

١١٠٩ - وعنه - رضى الله عنهما - قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ فِى السَّفَرِ يُؤَخِّرُ صَلاَةَ الْمَغْرِبِ ، حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعِشَاءِ. قَالَ سَالِمٌ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَفْعَلُهُ إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ ، وَيُقِيمُ الْمَغْرِبَ ، فَيُصَلِّيهَا ثَلاَثًا ، ثُمَّ يُسَلِّمُ ، ثُمَّ قَلَّمَا يَلْبَثُ حَتَّى يُقِيمَ الْعِشَاءَ ، فَيُصَلِّيهَا رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ وَلاَ يُسَبِّحُ بَيْنَهَا بِرَكْعَةٍ ، وَلاَ بَعْدَ الْعِشَاءِ بِسَجْدَةٍ حَتَّى يَقُومَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ .

١٦٦٨ - وعَنْ نَافِعٍ قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رضى الله عنهما - يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ - أى بالمزدلفة - غَيْرَ أَنَّهُ يَمُرُّ بِالشِّعْبِ الَّذِى أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَدْخُلُ فَيَنْتَفِضُ - أى يستجمر - وَيَتَوَضَّأُ ، وَلاَ يُصَلِّى حَتَّى يُصَلِّىَ بِجَمْعٍ .

١٦٧٣ - وعنه - رضى الله عنهما - قَالَ : جَمَعَ النَّبِىُّ ﷺ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِإِقَامَةٍ ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا وَلاَ عَلَى إِثْرِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا .

١٨٠٥ - وعن زيد بنْ أسلم عنْ أبيه قال : كُنْتُ مع عبْد اللّه بْنِ عُمر - رضى الله عنهما - بطريقِ مكّة ، فبلَغهُ عنْ صفيّة بنْت أبى عُبيْد شدّةُ وَجَعٍ ، فأسْرَعَ السّيْرَ ، حتّى كانَ بعْدَ غرُوب الشّفَق نزَلَ ، فصلّى الْمَغْربَ والْعَتَمةَ ، جمَعَ بيْنَهُمَا ، ثمَّ قَالَ : إنّى رأيْتُ النّبىَّ ﷺ إذا جدَّ به السّيْرُ أخّرَ الْمَغْربَ ، وَجمَعَ بيْنَهُمَا .

وكان داعية إسلاميًا ، صورة مشرفة للعلم والعمل ، آمرًا بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، يحسب المنحرفون لتعنيفه ألف حساب .

٥٥١٤ - فعَنِ ابْنِ عُمرَ - رضى الله عنهما - أنَّهُ دَخَلَ عَلَى يَحْيَى بْنِ سَعيد وَغُلامٌ مِنْ بَنِى يَحْيَى رَابطٌ دجَاجَةً يرْميهَا ، فَمَشَى إليْهَا ابْنُ عُمرَ حتّى حَلَّهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ بهَا وبِالْغُلامِ معَهُ فقَالَ : ازْجُرُوا غُلامَكُمْ عَنْ أنْ يَصْبِرَ هَذَا الطَّيْرَ لِلْقَتْلِ ، فإنِّى سَمِعْتُ النَّبىَّ ﷺ نَهَى أنْ تُصْبَرَ بَهيمَةٌ أوْ غيْرُهَا للْقَتْلِ .

٥٥١٥ - وعَنْ سَعِيد بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَمَرُّوا بِفِتْيَةٍ أَوْ بِنَفَرٍ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا ، فَلَمَّا رَأَوُا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا عَنْهَا ، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ إنَّ النَّبِىَّ ﷺ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ هَذَا .

كان ورعًا تقيًا ، كريمًا سخيًا ، لا يأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه ، فكانت هذه القصة :

٥٣٩٣ - عَنْ نَافعٍ قَالَ : كَانَ ابْنُ عُمَرَ لا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ ، فَأَدْخَلْتُ رَجُلا يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَكَلَ كَثيرًا ، فَقَالَ : يَا نَافعُ لاَ تُدْخِلْ هَذَا عَلَىَّ سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : « الْمُؤْمنُ يَأْكُلُ فِى معًى واحدٍ ، وَالْكَافرُ يَأْكُلُ فِى سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ » .

كان رضى الله عنه رائد الفتوى وأمير الفقه ، يرحل إليه السائلون من

البلاد ، واثقين فى علمه ونزاهته وقوة حجته ، ورجاحة فكره ورأيه .

وقد عرضنا إجاباته على أسئلة أعداء عثمان ، فكانت إجابات عدل ، وردود صدق ، مع شيء من السخرية حين يحس أن السائل له من سؤاله هدف معين ، ومغرض سيئ ، كالرجل الذى جاء يسأله عن دم البعوض ، هل هو هدر فلا حرمة ولا كراهة فى قتل الذباب والناموس بالسوائل القاتلة للحشرات الطائرة ؟ فقال ابن عمر : ممن أنت ؟ ومن أى البلاد أنت ؟ كأنك على الصراط المستقيم تخشى الوقوع فى غير ورع ؟ قال الرجل : أنا من أهل العراق . قال : عجبًا . أهل العراق يتمسون بالشدة والعنف ، لا بالرقة والرفق والإحسان ، وهذا يسألنى عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن النبى ﷺ – يقصد الحسين – وهو أحد أخوين قال عنهما النبى ﷺ : هما ريحانتاى من الدنيا . يحكى ذلك الحديث :

٥٩٩٤ – عَنِ ابْنِ أَبِى نُعْمٍ قَالَ : كُنْتُ شَاهِدًا لابْنِ عُمَرَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ . فَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : انْظُرُوا إِلَى هَذَا ، يَسْأَلُنِى عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِىِّ ﷺ ، وَسَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : « هُمَا رَيْحَانَتَاىَ مِنَ الدُّنْيَا » .

ومع انشغاله بالعلم كان ابن عمر ﷺ خبيرًا بأمور الدنيا ، فهو يبيع ويشترى بمكسب كبير يحسبه الناظر أنه خدع الطرف الآخر من المتبايعين ، كما فعل مع الخليفة الثالث عثمان ﷺ ، وكما يصوره الحديث

٢١١٦ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ : بِعْتُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ مَالا – أرضًا أو عقارًا – **بِالْوَادِى** – وادى القرى – **بِمَالٍ لَهُ بِخَيْبَرَ ، فَلَمَّا تَبَايَعْنَا رَجَعْتُ عَلَى عَقِبِى حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِهِ خَشْيَةَ أَنْ يُرَادَّنِى الْبَيْعَ ، وَكَانَتِ السُّنَّةُ أَنَّ الْمُتَبَايِعَيْنِ بِالْخِيَارِ حَتَّى يَتَفَرَّقَا** – وكان ابن عمر رضى الله عنهما يرى ضرورة التفرق بالأبدان من مجلس العقد ، وفيها

خلاف – **قَالَ عَبْدُ اللَّه : فَلَمَّا وَجَبَ بَيْعِى وَبَيْعُهُ رَأَيْتُ أَنِّى قَدْ غَبَنْتُهُ بِأَنِّى سُقْتُهُ إِلَى أَرْضِ ثَمُودٍ بِثَلاَثِ لَيَالٍ** – وزادت المسافة بين المدينة وبين أرضه الجديدة على المسافة بين المدينة وبين أرضه التى باعها بثلاث ليال – **وَسَاقَنِى إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلاَثِ لَيَالٍ** – أى ونقص المسافة التى كانت بينى وبين أرضى القديمة بثلاث ليال . وقد نفذ البيع على الرغم من الغبن الذى اعتقده ابن عمر ، وقد حصر الغبن فى بعد المسافة ، وربما كانت فى الأرض ميزة تعادل هذا النقص وتزيد ، وربما كان الخليفة الثالث يقصد ذلك على سبيل العطف الخفى .

وقد يتعرض بلباقة إلى عطاء رسول الله ﷺ كما فى الحديث :

٢١١٥ – عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى سَفَرٍ فَكُنْتُ عَلَى بَكْرٍ صَعْبٍ – أى على جمل شاب أول ما يركب وهو كثير النفور – **لِعُمَرَ ، فَكَانَ يَغْلِبُنِى ، فَيَتَقَدَّمُ أَمَامَ الْقَوْمِ ، فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ ، فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ لِعُمَرَ : « بِعْنِيهِ » . قَالَ : هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّه . قَالَ : « بِعْنِيهِ » . فَبَاعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « هُوَ لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ تَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتَ » .**

٢٦١٠ – وعنه – رضى الله عنهما – أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى سَفَرٍ فَكَانَ عَلَى بَكْرٍ لِعُمَرَ صَعْبٍ ، فَكَانَ يَتَقَدَّمُ النَّبِىَّ ﷺ ، فَيَقُولُ أَبُوهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ يَتَقَدَّمِ النَّبِىَّ ﷺ أَحَدٌ . فَقَالَ لَهُ النَّبِىُّ ﷺ : « بِعْنِيهِ » . فَقَالَ عُمَرُ : هُوَ لَكَ . فَاشْتَرَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : « هُوَ لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، فَاصْنَعْ بِهِ مَا شِئْتَ » . واسبق به كيف شئت .

وكان رضى الله عنه يتحرى السماحة فى البيع والشراء ، فقد يشترى معيبًا له حق رده ، فلا يرده ، كما فى الحديث :

٢٠٩٩ – قَالَ عَمْرٌو كَانَ هَا هُنَا رَجُلٌ اسْمُهُ نَوَّاسٌ ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ إِبِلٌ هِيمٌ – مصابة بداء العطش – **فَذَهَبَ ابْنُ عُمَرَ – رضى الله عنهما – فَاشْتَرَى**

تلْكَ الإبلَ منْ شَرِيكٍ لَهُ ، فَجَاءَ إِلَيْه شَرِيكُهُ ، فَقَالَ : بِعْنَا تِلْكَ الإبلَ . فَقَالَ : ممَّنْ بِعْتَهَا ؟ قَالَ : من شَيْخٍ ، كذَا وكذَا . فَقَالَ : وَيْحَكَ ذَاكَ – وَاللَّه – ابْنُ عُمَرَ . فَجَاءَهُ ، فَقَالَ : إِنَّ شَرِيكي بَاعكَ إبلا هيمًا ، ولَمْ يَعْرِفْكَ . قَالَ : فَاسْتَقْهَا . قَالَ : فَلمَّا ذَهبَ يَسْتَاقُهَا ، فَقَالَ : دَعْهَا ، رَضِينَا بقَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لا عَدْوَى .

طلق امرأته أثناء الحيض ، فأمر بمراجعتها وإمساكها حتى تطهر ، ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق فى طهر لم يجامعها فيه ، يصور هذه القصة الحديث :

٥٢٥١ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهْىَ حَائضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنْ ذَلكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « مُرْهُ فَلْيُرَاجعْهَا ، ثُمَّ ليُمْسكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ، ثُمَّ تَحيضَ ، ثُمَّ تَطْهُرَ ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ ، فَتلْكَ الْعدَّةُ الَّتى أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ » .

وقد فضل فى أواخر أيامه الانشغال بالعبادة عن الجهاد حيث أصبح من وجهة نظره سنة ، فكان يحج سنة ، ويعتمر سنة ، وغلب فى الفتنة المسالمة والعزلة ، والأحاديث الآتية تصور ما اختاره لحياته وحياة أولاده فى فترة ظلمات الفتن .

٤١٠٨ – عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَنوسَاتُهَا تَنْطُفُ – النوسات ذوائب الشعر ، ومعنى تنطف : تقطر ماء بسبب الاغتسال – قُلْتُ : قَدْ كَانَ منْ أَمْرِ النَّاسِ مَا تَرَيْنَ – مراده ما وقع بين على ومعاوية من القتال فى صفين واجتماع الناس على التحكيم بينهم ، فراسلوا بقايا الصحابة ، وتواعدوا على الاجتماع لينظروا فى ذلك ، فشاور ابن عمر أخته فى التوجه إليهم بدون دعوة ، أو عدم التوجه إليهم ، فأشارت باللحاق بهم

خشية أن ينشأ من غيبته اختلاف يفضى إلى استمرار الفتنة - **فَلَمْ يُجْعَلْ لِى مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ** - ولم يدعنى أحد - **فَقَالَت** : **الْحَق فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ ، وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِى احْتِبَاسِكَ عَنْهُمْ فُرْقَةٌ . فَلَمْ تَدَعْهُ حَتَّى ذَهَبَ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ** - بعد أن اختلف الحكمان - **خَطَبَ مُعَاوِيَةُ قَالَ : مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِى هَذَا الأَمْرِ فَلْيُطْلِعْ لَنَا قَرْنَهُ** - وليظهر لنا صفحة عنقه ، وليرفع رأسه ، وقال معرضًا بالحسن والحسين رضى الله عنهما - **فَلَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ . قَالَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ** - لابن عمر - : **فَهَلاَّ أَجَبْتَهُ ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَحَلَلْتُ حُبْوَتِى** - جلسة الاحتباء وضع القدمين على الأرض ، ورفع الركبتين ، وربط الساقين بثوب بعد ضمهما يلف حول الظهر ، وحله مظهر من مظاهر الهم بالحركة والقيام والتأهب لأمر هام - **وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ : أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الإِسْلاَمِ** - هذه الجملة هى مناسبة الحديث لغزوة الخندق ، إذ كان أبو سفيان والد معاوية على رأس الأحزاب ، فأراد أن يقول له : أحق به منك من قاتلك وقاتل أباك يوم الخندق حتى أدخل أباك فى الإسلام ، ويدخل فى ذلك على وجميع من شهد الخندق من المهاجرين ، ومنهم عبد الله بن عمر ومقصد معاوية أن المقدم فى الخلافة الأقوى فى الحرب والرأى والمعرفة ، ورأى ابن عمر أن المقدم فى الخلافة الأفضل والأسبق فى الإسلام ، ولا يبايع المفضول إلا إذا خشى الفتنة ، ولهذا بايع ابن عمر وأبناؤه معاوية - **فَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَمْعِ ، وَتَسْفِكُ الدَّمَ ، وَيُحْمَلُ عَنِّى غَيْرُ ذَلِكَ** - وينقل عنى غير ما أردت - **فَذَكَرْتُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِى الْجِنَانِ** - لمن صبر وآثر الآخرة على الدنيا - **قَالَ حَبِيبٌ** - وكان من أتباع معاوية- : **حُفِظْتَ وَعُصِمْتَ** - أى ما يحفظ الأمة ويعصمها زادك الله حفظًا وعصمة -.

٧١١١ - وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ : لَمَّا خَلَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ ، فَقَالَ : إِنِّى سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : « يُنْصَبُ لِكُلِّ

غادر لواءٌ يومَ القيامة » . وإنّا قدْ بايعْنا هذا الرّجُلَ على بيْعِ اللّه ورسُوله ، وإنّى لا أعْلمُ غدْرًا أعْظمَ منْ أنْ يُبايعَ رجُلٌ على بيْعِ اللّـه ورسُـوله ، ثُـمَّ يُنْصَبُ لهُ القتالُ ، وإنّى لا أعْلمُ أحدًا منْكُمْ خلعَهُ ، ولا بايعَ فى هذا الأمْرِ ، إلاّ كانت الفيْصلَ بيْنى وبيْنَهُ .

٧١١٢ - وعنْ أبى المنْهال قالَ : لمّا كانَ ابْنُ زياد ومرْوانُ بالشّأْم ، ووثبَ ابْنُ الزُّبيْر بمكّةَ ، ووثبَ القُرّاءُ بالبصْرَة ، فانْطَلقْـتُ مـع أبـى إلـى أبى برْزَةَ الأسْلمىِّ حتّى دخلْنا عليْه فى داره ؛ وهْوَ جالسٌ فى ظلِّ عُلّيّـة لـهُ منْ قصبٍ ، فجلسْنا إليْه فأنْشأَ أبى يسْتطْعمُهُ الحديثَ فقالَ : يا أبـا بـرْزَةَ ألاَ ترَى ما وقعَ فيه النّاسُ ؟ فأوّلُ شىْءٍ سمعْتُهُ تكلّم به : إنّى احْتسبْتُ عنْدَ اللّه أنّى أصْبحْتُ ساخطًا على أحْياء قُريْشٍ ، إنّكُمْ يا معْشرَ العرب كُنْتُمْ على الحال الّذى علمْتُمْ منَ الذّلّة والقلّة والضّلالة ، وإنّ اللّهَ أنْقذكُمْ بالإسْلام وبمُحمّد ﷺ حتّى بلغَ بكُمْ ما ترَوْنَ ، وهذه الدُّنْيا الّتى أفْسدتْ بيْنكُمْ ، إنّ ذاك الّذى بالشّأْم واللّه إنْ يُقاتلُ إلاّ على الدُّنْيا .

٧٢٠٣ - عن عبْد اللّه بْن دينار قالَ : شهدْتُ ابْنَ عُمرَ حيْثُ اجْتمَـعَ النّاسُ على عبْد الملك - قالَ - كتبَ إنّى أُقرُّ بالسّمْع والطّاعة لعبْـد المـلـك أمير المُؤْمنينَ على سُنّة اللّه وسُنّة رسُوله ما اسْتطعْتُ ، وإنّ بنىَّ قدْ أقـرُّوا بمثْل ذلكَ .

٧٢٠٥ - وعنه قالَ : لمّا بايعَ النّاسُ عبْدَ الملك كتبَ إليْه عبْدُ اللّه بْنُ عُمرَ إلى عبْد اللّه عبْد الملك أمير المُؤْمنينَ إنّـى أُقـرُّ بالسّـمْع والطّاعـة لعبْد اللّه عبْد الملك أمير المُؤْمنين ، على سُنّة اللّه وسُـنّة رسُـوله ، فيمـا اسْتطعْتُ ، وإنّ بنىَّ قدْ أقرُّوا بذلكَ .

وحج سنة نزول الحجاج بابن الزبير ، يصور ذلك الحديث :

١٦٤٠ - عنْ نافعٍ أنّ ابْنَ عُمرَ - رضى الله عنهما - أرادَ الحجَّ عامَ

نَزَلَ الْحجَّاجُ بِابْنِ الزُّبَيْرِ . فَقِيلَ لَهُ : إنّ النَّاسَ كَائنٌ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ ، وإنَّا نَخَافُ أَنْ يَصُدُّوكَ . فَقَالَ ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (١) إذًا أَصْنَعَ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ، إنِّى أُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ أَوْجَبْتُ عُمْرَةً . ثُمَّ خَرَجَ حتَّى إذَا كَانَ بِظَاهِرِ الْبَيْدَاءِ قَالَ : مَا شَأْنُ الْحجِّ وَالْعُمْرَةِ إلاَّ وَاحِدٌ ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ أَوْجَبْتُ حَجًّا مَعَ عُمْرَتِى . وَأَهْدَى هَدْيًا اشْتَرَاهُ بِقُدَيْدٍ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ يَنْحَرْ ، وَلَمْ يَحِلَّ مِنْ شَىْءٍ حَرُمَ مِنْهُ ، وَلَمْ يَحْلِقْ وَلَمْ يُقَصِّرْ حَتَّى كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ ، فَنَحَرَ وَحَلَقَ ، وَرَأَى أَنْ قَدْ قَضَى طَوَافَ الْحجِّ ، وَالْعُمْرَةِ بِطَوَافِهِ الأَوَّلِ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - رضى الله عنهما - كَذَلِكَ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وكان الحجاج قد أمر رجلا ، فملأ حديدة رمح بالسم ، وزاحم الرجل ابن عمر ووضع الحديدة فى ظهر قدمه ، وذلك أن الحجاج خطب يومًا ، وأخر الصلاة فقال له ابن عمر : إن الشمس لا تنتظرك ، فقال له الحجاج : لقد هممت أن أضرب الذى فيه عيناك . قال له ابن عمر : إن تفعل فإنك سفيه مسلط ، فمرض ابن عمر من جرح الحربة أيامًا ، فدخل عليه الحجاج يعوده ، فقال له : من فعل بك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قال : قتلنى الله إن لم أقتله . قال : ما أراك فاعلا . أنت الذى أمرت الذى نخسنى بالحربة.

فمكث أيامًا ثم مات ، وصلى عليه الحجاج ، وذلك بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر ، وكان قد أوصى أن يدفن فى الحل ، فلم يمكن من أجل الحجاج، ودفن بذى طوى فى مقبرة المهاجرين .

---

(١) سورة الحشر - الآية : ٧ .

عثمان بن مظعون رضي الله عنه

أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى هو وابنه السائب ، ويقال : إنه كان كالرئيس للذين هاجروا معه إلى الحبشة ، ورجع إلى مكة فيمن رجع حين بلغهم أن أهل مكة أسلموا ، ودخل عثمان فى جوار الوليد بن المغيرة ، وسمع لبيد بن ربيعة ينشد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ***

فقال عثمان بن مظعون : صدقت ، فقال لبيد :

*** **وكل نعيم لا محالة زائل**

قال عثمان : كذبتم . نعيم الجنة لا يزول . فقام سفيه من سفهاء الكافرين إلى عثمان ، فلطم عينه ، فاخضرت . فرد على الوليد جواره ، واكتفى بجوار رسول الله ﷺ . وهو أحد الذين حرموا الخمر فى الجاهلية ، وكان يقول : لا أشرب شرابًا يذهب عقلى ، ويضحك من هو أدنى منى ، ويحملنى على أن أنكح كريمتى .

هاجر إلى المدينة ، وكان أحد الثلاثة الذين ذهبوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ ، يسألوتهن عن عبادته السرية ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها ، فقالوا : إن رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، أما نحن فإنا فى حاجة إلى المبالغة فى الطاعة . قال أحدهم : أما أنا فسأصوم الدهر أبدا ، وقال الثانى : وأما أنا فسأقوم الليل أبدا ، وقال عثمان : وأما أنا فسأعتزل النساء ، لأتفرغ للعبادة ، وهمَّ أن يختصى ويتبتل ، وسأل الرسول ﷺ فنهاه .

شهد بدرًا ، ومات بعدها ، فلما غسل وكفن قبله رسول الله ﷺ بين

عينيه ، فلما دفن قال : نعم السلف الصالح لنا عثمان بن مظعون ، ولما توفى إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : الحق بالسلف الصالح عثمان بن مظعون .

وكان أول رجل مات من المهاجرين بالمدينة ، وأول من دفن ببقيع الغرقد .

وكان عابدًا مجتهدًا من فضلاء الصحابة .

١٢٤٣ - **فعن أُمِّ الْعَلاَءِ - امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ - بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً - لما هاجر المسلمون إلى المدينة لم يكن لهم بالمدينة بيوت ، فاقتسمهم الأنصار وعن طريق القرعة ، ليأوى كل مهاجر عند أنصارى - فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ - فكان من نصيب آل أم العلاء - فَأَنْزَلْنَاهُ فِى أَبْيَاتِنَا ، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِى تُوُفِّىَ فِيهِ ، فَلَمَّا تُوُفِّىَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِى أَثْوَابِهِ ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ ، فَشَهَادَتِى عَلَيْكَ - أى أشهد لك - لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ » ؟ فَقُلْتُ : بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ ؟ - إذا لم يكرم عثمان الذى كان وكان ، وقصد الرسول ﷺ أنه لا يصح شرعًا القطع بمثل ذلك لميت ، إلا إذا كان الرسول ﷺ هو الذى أخبر به - فَقَالَ : « أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّهِ إِنِّى لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِى - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُفْعَلُ بِى » . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّى أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا . أى لا أحكم بعاقبة لأحد بعد هذه الحادثة ، ولكنه الرجاء .**

٢٦٨٧ - **وبلفظ السابق غير أن فيه : طَارَ لَهُ سَهْمُهُ فِى السُّكْنَى حِينَ أَقْرَعَتِ الأَنْصَارُ سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ . قَالَتْ أُمُّ الْعَلاَءِ : فَسَكَنَ عِنْدَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، فَاشْتَكَى ، فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى إِذَا تُوُفِّىَ وَجَعَلْنَاهُ فِى ثِيَابِهِ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ ، فَشَهَادَتِى عَلَيْكَ لَقَدْ**

أَكْرمَكَ اللَّهُ . فَقَالَ لِى النَّبِىُّ ﷺ : « ومَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرمَهُ » ؟ فَقُلْتُ : لا أَدْرِى بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ - واللَّه - الْيَقِينُ وَإِنِّى لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِى وَأَنَا رَسُولُ اللَّه مَا يُفْعَلُ بِى » . قَالَتْ : فَوَاللَّه لاَ أُزَكِّى أَحدًا بَعْدَهُ أَبَدًا ، وَأَحْزَنَنِى ذَلِكَ قَالَتْ : فَنِمْتُ فَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِى ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : « ذَلِكَ عَمَلُهُ » .

والفرق بين هذا الحديث وأحاديث الثناء عليه أن الثناء عليه شهادة بما عمل من خير وهو مطلوب ، أما الحكم عليه فى الآخرة بأنه فى الجنة ، فهو ممنوع لأنه خاص بالله وبقبوله الصالحات وبحسن الخاتمة ، فالحكم به كما فعلت أم العلاء منهى عنه .

جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه

كان أشبه الناس خَلقًا وخُلقًا برسول الله ﷺ ، وكان شقيق على رضي الله عنه وأسن منه بعشر سنين ، أسلم بعد خمسة وعشرين رجلا . هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وبقى هناك حتى غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة ، فهاجر إلى المدينة عندما انتصر المسلمون ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا أدرى بأيهما أنا أشد فرحًا ؟ بقدوم جعفر ؟ أم بفتح خيبر ؟ » .

وكان خير الناس للمساكين ، يحبهم ويحبونه ، ويجلس إليهم ، يحدثهم ويحدثونه ، ويخدمهم ويخدمونه ، حتى كناه رسول الله ﷺ بأب المساكين .

ويقول أبو هريرة : ما احتذى النعال ، ولا ركب المطايا ، ولا وطئ التراب بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبى طالب . رواه الترمذى . ويقول :

٣٧٠٨ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ . وَإِنِّى كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِى ، حَتَّى لاَ آكُلُ الْخَمِيرَ ، وَلاَ أَلْبَسُ الْحَبِيرَ ، وَلاَ يَخْدُمُنِى فُلاَنٌ وَلاَ فُلاَنَةُ ، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِى بِالْحَصْبَاءِ مِنَ الْجُوعِ ، وَإِنْ كُنْتُ لأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الآيَةَ هِىَ مَعِى كَىْ يَنْقَلِبَ بِى فَيُطْعِمَنِى ، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِى بَيْتِهِ ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ الَّتِى لَيْسَ فِيهَا شَىْءٌ ، فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا .

وفى جمادى سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ بثلاثة آلاف إلى مؤتة من أرض الشام بالقرب من البلقاء ، وأمره عليهم :

٤٢٦١ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ : أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى غَزْوَةِ مُوتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ

قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ ، وإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّه بْنُ رَوَاحَةَ » . قَالَ عَبْدُ اللَّه : كُنْتُ فِيهِمْ فِى تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِى طَالِبٍ ، فَوَجَدْنَاهُ فِى الْقَتْلَى ، وَوَجَدْنَا مَا فِى جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ .

٤٢٦٢ - وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ نعى زيدا وجعفرا وابن رواحه لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ ، فَقَالَ : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّه حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ »

٤٢٦٣ - وعن عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قالت : لَمَّا جَاءَ قَتْلُ ابْنِ حَارِثَةَ وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِى طَالِبٍ وَعَبْدِ اللَّه بْنِ رَوَاحَةَ - رضى الله عنهم - جَلَسَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ - قَالَتْ عَائِشَةُ - وَأَنَا أَطَّلِعُ مِنْ صَائِرِ الْبَابِ - تَعْنِى مِنْ شَقِّ الْبَابِ - فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَىْ رَسُولَ اللَّه إِنَّ نِسَاءَ جَعْفَرٍ قَالَ وَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْهَاهُنَّ قَالَ : فَذَهَبَ الرَّجُلُ ، ثُمَّ أَتَى ، فَقَالَ : قَدْ نَهَيْتُهُنَّ . وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يُطِعْنَهُ قَالَ : فَأَمَرَ أَيْضًا ، فَذَهَبَ ، ثُمَّ أَتَى ، فَقَالَ : وَاللَّه لَقَدْ غَلَبْنَنَا . فَزَعَمَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : « فَاحْثُ فِى أَفْوَاهِهِنَّ مِنَ التُّرَابِ » قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَكَ ، فَوَاللَّه مَا أَنْتَ تَفْعَلُ ، وَمَا تَرَكْتَ رَسُولَ اللَّه ﷺ مِنَ الْعَنَاءِ .

وقطعت يداه فى المعركة ، أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، ثم أخذه بشماله فقطعت ، ثم احتضنه فقتل ، فعوضه الله عن اليدين بجناحين يطير بهما فى الجنة . وسمى من يومئذ ذا الجناحين .

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

قرشي ، يكنى أبا محمد ، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو ، وقيل : عبد الكعبة ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن . ولد بعد الفيل بعشر سنين ، وأسلم مع السابقين ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، ثم عاد إلى مكة ، وهاجر إلى المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ ، وآخى الرسول ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع ، فحصلت أحداث الأحاديث الآتية :

٢٠٤٨ - **عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قال : لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ : إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالا ، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي ، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا** - وطلقتها لأجلك - **فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا . قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ ؟ قَالَ : سُوقُ قَيْنُقَاعَ . قَالَ : فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ - قَالَ - ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ** - وتابع الذهاب إلى السوق أول النهار - **فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ** - إلى النبي ﷺ - **عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ** - وثياب جديدة بألوان جديدة ورائحة طيبة ، شأن العروس، والصفرة الزعفران - **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَزَوَّجْتَ » ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : « وَمَنْ » . قَالَ : امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ . قَالَ : « كَمْ سُقْتَ » ؟** - دفعت لها مهرًا ؟ **قَالَ : زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ** - كانت قيمتها حينئذ خمسة دراهم ، وقدرها ربع دينار ، والأوقية أربعون درهمًا -. **فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ »** . كان ثمن الشاة يومئذ درهمين .

٣٧٨٠ - **وبلفظ ما سبق غير أن فيه : وَلِي امْرَأَتَانِ ، فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ ، فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا ، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا. قَالَ** - عبد الرحمن-: **بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، أَيْنَ سُوقُكُمْ ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ،**

فمَا انْقلَبَ إلاَّ ومَعَهُ فضْلٌ منْ أقط وسَمْن – زائدًا عن رأس ماله – ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ ، ثُمَّ جَاءَ يوْمًا وبِهِ أثَرُ صُفْرَةٍ فقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَهْيَمْ » ؟ – أى ما شأنك ؟ ما هذا الطيب ؟– قَالَ : تزوَّجْتُ . قَالَ : « كَمْ سُقْتَ إليْهَا » ؟ قَالَ : نَوَاةً منْ ذهَبٍ . أوْ وزْنَ نوَاةٍ منْ ذهَبٍ .

٢٠٤٩ – عَنْ أنَسٍ ﷺ قَالَ : قدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عوْفٍ الْمَدِينَةَ فآخَى النَّبِىُّ ﷺ بيْنَهُ وبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأنْصَارِىِّ ، وكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى ، فقَالَ لعَبْدِ الرَّحْمَنِ : أُقَاسِمُكَ مَالِى نِصْفَيْنِ ، وأُزَوِّجُكَ . قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِى أهْلِكَ ومَالِكَ ، دُلُّونِى عَلَى السُّوقِ . فمَا رجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أقِطًا وسَمْنًا ، فأتَى بِهِ أهْلَ منْزِلِهِ ، فمَكَثْنَا يَسِيرًا – أوْ مَا شَاءَ اللَّهُ – فجَاءَ وعَلَيْهِ وَضَرٌ منْ صُفْرَةٍ ، فقَالَ لهُ النَّبِىُّ ﷺ : « مَهْيَمْ » ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تزَوَّجْتُ امْرَأةً من الأنْصَارِ . قَالَ : « مَا سُقْتَ إليْهَا » ؟ قَالَ نوَاةً منْ ذهَبٍ ، أوْ وزْنَ نوَاةٍ منْ ذهَبٍ . قَالَ : « أوْلِمْ ولَوْ بِشَاةٍ » – ذكروا فى تركة عبد الرحمن بن عوف أنه ترك أربع نسوة ، حصلت كل واحدة منهن على مائة ألف دينار ، فيكون ثمن التركة أربعمائة ألف دينار . وهذا من بركة البيع والشراء .

شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وفى بدر حدثت أحداث الحديث :

٢٣٠١ – عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ : كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَابًا – أى كتبت بينى وبينه كتابًا – بِأنْ يَحْفَظَنِى فِى صَاغِيَتِى بِمَكَّةَ – أى فى خاصتى وأهلى بمكة – وأحْفَظَهُ فِى صَاغِيَتِهِ بالْمَدِينَةِ ، فلَمَّا ذكَرْتُ الرَّحْمَنَ قَالَ : لاَ أعْرِفُ الرَّحْمَنَ – قال : لا أعرف "الرحمن" – كَاتِبْنِى باسْمِكَ – اللهم ، أو باسم الإله ، وكان أمية بن خلف يسميه عبد الله – الَّذِى كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ. فكَاتَبْتُهُ عَبْدُ عَمْرٍو ، فلَمَّا كَانَ فِى يَوْمِ بَدْرٍ خَرَجْتُ إلَى جَبَلٍ لأحْرِزَهُ – لألقاه وحدى – حِينَ نَامَ النَّاسُ ، فأبْصَرَهُ بِلاَلٌ ، فخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى

مَجْلِسٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا ، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَّفْتُ لَهُمُ ابْنَهُ – على بن أمية – لأَشْغَلَهُمْ ، فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتْبَعُونَا ، وكَانَ رَجُلا ثَقِيلا – ضخم الجثة – فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ : ابْرُكْ . فَبَرَكَ ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لأَمْنَعَهُ – من القتل – فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي – أى غشوه وطعنوه بالسيوف من تحتى – حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ ، وكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ .

ففى هذا الحديث أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ ، وهو مسلم فى دار الإسلام فوَّض إلى أمية بن خلف وهو كافر فى دار الحرب ما يتعلق بأموره ، والظاهر إطلاع النبى ﷺ ، فلم ينكره .

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر أن رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عنهم ، وفوض إليه أصحاب الشورى أن يختار الخليفة من بينهم ، فاختار عثمان وبايعه وبايعوه – راجع الحديث : ٧٢٠٧ كيف يبايع الإمام الناس ؟

وعذر عبد الرحمن بن عوف فيما أخذ على عثمان ﷺ أن ما أخذ عليه من توليته أقاربه دون استحقاق لم يكن يظهر قبل المباشرة ، ثم إنه أخذ عليه العهد والميثاق أن يسير على نهج صديقيه أبى بكر وعمر – رضى الله عنهما – وأعتقد أنه لو استقبل من أمره ما استدبر ما فعل الذى فعل ، وما تحمل هذه المسئولية ، ولو أن كل واحد منهم رشح واحدًا ، وأخذ بأغلبية الأصوات لكان خيرًا .

جرح يوم أحد إحدى وعشرين جراحة .

صلى الرسول ﷺ خلفه ركعة فى سفرة سافرها .

تصدق فى عهد الرسول ﷺ بشطر ماله ، ثم تصدق بعده بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله وخمسمائة راحلة ، وكان أكثر ماله من التجارة .

وكان تاجرًا محظوظًا ، وكسب مالا كثيرًا ، وخلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ، ومائة فرس ترعى بالبقيع ، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحًا ، فكان يدخل منه قوت أهله سنة .

فى مرضه طلق امرأة من ثلاث ، وصالحها من ثلث الثمن على ثلاثة وثمانين ألفًا .

أعتق فى يوم واحد ثلاثين عبدًا .

ولما حضرته الوفاة بكى بكاء شديدًا ، فسئل عن سبب بكائه فقال : إن مصعب بن عمير كان خيرًا منى ، توفى على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن له ما يكفن فيه ، وإن حمزة بن عبد المطلب خير منى ، ولم نجد له كفنًا ، وإنى أخشى أن أكون ممن عجلت له طيباته فى الحياة الدنيا ، وأخشى أن أحتبس عن أصحابى بكثرة مالى .

ودخل على أم سلمة ، فقال : يا أمه . قد خفت أن يهلكنى كثرة مالى ، وأنا أكثر قريش مالا . قالت : يا بنى أنفق ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن من أصحابى من لا يرانى بعد أن أفارقه ، فخرج عبد الرحمن فلقى عمر ، فأخذه ، فجاء عمر ، فدخل عليها ، فقال : يا لله . منهم أنا ؟ فقالت : لا والله . ولن أبرئ أحدًا بعدك أبدًا .

وكان الأمين على أزواج النبى ﷺ من بعده ، يخرج بهن ، ويحج معهن ، ويجعل على هوادجهن الطيالسة ، وينزل بهن فى الشعب الذى ليس له منفذ .

وهو الذى روى حديث الطاعون ، فأخذ به عمر ولم يدخل الشام ، ورجع إلى المدينة .

٥٧٢٩ - فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عبَّاسٍ - رضى الله عنهما - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ ابْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقَالَ عُمَرُ : ادْعُ لِى الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ . فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفُوا . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ ، وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ . فَقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّى . ثُمَّ قَالَ : ادْعُوا لِى الأَنْصَارَ . فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ ، فَقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّى . ثُمَّ قَالَ : ادْعُ لِى مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ . فَدَعَوْتُهُمْ ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ ، فَقَالُوا : نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ ، وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ ، فَنَادَى عُمَرُ فِى النَّاسِ ، إِنِّى مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ : أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، نَعَمْ : نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ ؟ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ ؟ قَالَ : فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِى بَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِى فِى هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ » . قَالَ : فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

كما أخذ عمر بشهادة عبد الرحمن بن عوف فى أخذ الجزية من

المجوس ، ففى الحديث :

٣١٥٦ - **وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ أَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنَ الْمَجُوسِ .**

٣١٥٧ - **حَتَّى شَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرٍ .**

ويقال : إن مجموع ما أعتق ثلاثون ألف نسمة .

وفى مرض موته أوصى لكل من شهد بدرًا بأربعمائة دينار ، فكانوا مائة رجل .

مات سنة إحدى وثلاثين عن عمر يبلغ اثنتين وسبعين سنة ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه عثمان بن عفان رضى الله عنهما .

ومع كل هذا الإنفاق فى سبيل الله يروى الإمام أحمد فى مسنده عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا عَائِشَةُ فِى بَيْتِهَا إِذْ سَمِعَتْ صَوْتًا فِى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَتْ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : عِيرٌ - أى **قافلة إبل** - لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، قَدِمَتْ مِنَ الشَّامِ تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ . قَالَ : فَكَانَتْ سَبْعَمِائَةِ بَعِيرٍ - قَالَ - فَارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ مِنَ الصَّوْتِ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « قَدْ رَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبْوًا » . فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ . فَقَالَ : إِنِ اسْتَطَعْتُ لأَدْخُلَنَّهَا قَائِمًا . فَجَعَلَهَا بِأَقْتَابِهَا وَأَحْمَالِهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

رضى الله عنه وأرضاه .

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

يعرف بطلحة الخير ، وطلحة الفياض ؛ لأنه اشترى ماء فى بيسان ، وأوقفه على ابن السبيل ، فقال له النبى ﷺ : ما أنت يا طلحة إلا فياض .

أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر ، وأحد الستة أصحاب الشورى .

هاجر إلى المدينة ، فآخى النبى ﷺ بينه وبين أبى أيوب .

وعند موقعة بدر كان فى تجارة بالشام ، فضرب له النبى ﷺ بسهمه وأجره .

وشهد أحدًا ، وأبلى فيها بلاء حسنًا ، وكان أحد الجماعة الذين بايعوا النبى ﷺ على الموت ، وعلى أن يبذلوا نفوسهم دونه ، حتى قتل منهم من قتل ، وكان منهم : أبو بكر ، وعمر ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن حنيف ، وأبو دجانة .

ولما هزم المسلمون وقرب المشركون من رسول الله ﷺ أخذ يقيه ويحميه ونترس . ولما أراد الرسول ﷺ أن يصعد صخرة فلم يستطع احتمله طلحة ورفعه إلى الصخرة ، وحاول أن يقى رسول الله ﷺ ، فتلقى السهام بيده ، فشلت يده .

٣٧٢٤ - عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِى حازِمٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ يدَ طَلْحَةَ الَّتى وقَى بِها النَّبِىَّ ﷺ قَدْ شَلَّتْ .

يقول أبو بكر : ثم أتينا طلحة يوم أحد ، فوجدنا به بضعًا وسبعين جراحة . ورسول الله ﷺ يقول له : ارم فداك أبى وأمى . أوجب طلحة . أى استحق الجنة .

تزوج طلحة أربعَ نسوة ، عند النبى ﷺ أخت كل منهن : أم كلثوم بنت أبى بكر أخت عائشة ، وحمنة بنت جحش أخت زينب ، والفارعة بنت أبى سفيان أخت أم حبيبة ، ورقية بنت أبى أمية أخت أم سلمة .

يقال : إنه بايع عليًّا هو والزبير ، ثم نكثا البيعة وذهبا إلى عائشة بمكة ، ثم معها إلى البصرة ، وكان فى جندها ضد علىٍّ ، وأخذ على يحذره ويعظه ويذكره ، فقرر الانسحاب وترك المعركة ، ورآهما مروان بن الحكم ؛ وهو يعتقد أن طلحة ممن حاصروا عثمان فرمى طلحة بسهم ، وقال : لا أطلب ثأرى بعد اليوم . فقتله .

رضى الله عنه وأرضاه .

جابر بن عبد الله ﷺ

الأنصارى الخزرجى الصحابى المشهور ، أحد المكثرين فى الرواية عن رسول الله ﷺ ، شهد بدرًا ، وكان فى بدر يسقى أصحابه الماء ، ثم شهد بعد أحد مع النبى ﷺ ثمان عشرة غزوة وكف بصره فى آخر عمره، وتوفى سنة سبع وسبعين بالمدينة .

ترك له أبوه تركة مثقلة ، ديون ليهود ، وهى كمية كبيرة من التمر ، وسبع أو تسع أخوات ، وهو مازال عند البلوغ ، فكان النبى ﷺ يرعاه ، ويسأل عن أحواله ، وينصحه ، ويساعده ، كما تدل على ذلك الأحاديث الآتية :

جمل جابر يشتريه الرسول ﷺ منه ، ويعطيه ثمنه ، ويهبه له :

٤٤٣ – **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ** – رضى الله عنهما – **قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ ؛ وَهُوَ فِى الْمَسْجِدِ ضُحًى ، فَقَالَ : « صَلِّ رَكْعَتَيْنِ » . وَكَانَ لِى عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَضَانِى** – دفع لى دينى – **وَزَادَنِى** . القصة طويلة تتجمع عناصرها وأحداثها من الروايات الآتية :

١٨٠١ – **عَنْ جَابِرٍ** ﷺ **قَالَ : نَهَى النَّبِىُّ ﷺ أَنْ يَطْرُقَ أَهْلَهُ لَيْلا .**

٢٠٩٧ – بلفظ : **كُنْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى غَزَاةٍ** – قيل غزوة ذات الرقاع – **فَأَبْطَأَ بِى جَمَلِى وَأَعْيَا** – تعب ، وفى رواية : « فأراد أن يسيبه » أى يطلقه فى الصحراء – **فَأَتَى عَلَىَّ النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ : « جَابِرٌ » ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ. قَالَ : « مَا شَأْنُكَ »؟ قُلْتُ : أَبْطَأَ عَلَىَّ جَمَلِى وَأَعْيَا ، فَتَخَلَّفْتُ** – حتى ذهب الناس – **فَنَزَلَ يَحْجُنُهُ بِمِحْجَنِهِ** – المحجن عصا معكوفة الطرف ، والمعنى يطعنه بعصاه التى معه – **ثُمَّ قَالَ : « ارْكَبْ » . فَرَكِبْتُ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** – فى رواية لمسلم « فكنت بعد ذلك أحبس خطامه لأسمع حديثه » أى كنت أحد من جريه لئلا يسبق ناقة رسول الله ﷺ فلا أسمع حديثه – **قَالَ**

: « **تزَوَجْت** » ؟ **قُلْتُ : نعَمْ . قال** : « **بكْراً أمْ ثيِّباً** » ؟ **قُلْتُ : بلْ ثيِّبا . قال** : « **أفلا** – تزوجت – **جارِيةً تُلاعِبُها وتُلاعبك** » ؟ **قُلْتُ : إنَ لي أخَوات ، فَأحْبَبْتُ أَنْ أتزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ ، وتَمْشُطُهُنَّ ، وتَقُومُ عَلَيْهِنَّ . قالَ** : « **أمَّا إنَّكَ قَادمٌ** – على مشاكل الزوجة والأخوات – **فإذَا قدمْتَ** – ووصلت وسمعت الشكاوى – **فَالْكَيْسَ الْكيْسَ** » – فالزم الحكمة والذكاء – عجبًا لهذه المسامرة والمؤانسة من القائد الأعظم إلى شاب من عامة الجنود فى أخص شئون حياته ؟ ثم زاده أنسًا وترغيبًا فى جمله – **قَالَ** : « **أَتَبيعُ جَمَلَكَ** » ؟ – هذا فى رواية « قلت : هو لك يا رسول الله . قال : لا . بعنيه » – **قُلْتُ : نعَمْ . فَاشْتَرَاهُ منِّى بأُوقيَّة** – من ذهب ، وهى أكثر من ثمنه الحقيقى – **ثُمَّ قَدِمَ** – وصل – **رَسُولُ اللَّه** ﷺ – إلى المدينة – **قَبْلى ، وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاة** – ضحى – **فجئْنا إلى الْمَسْجِدِ ، فوَجَدْتُهُ عَلَى بَاب الْمَسْجِدِ ، قَالَ** : « **الآنَ قَدِمْتَ** » ؟ **قُلْتُ : نعَمْ . قَالَ** : « **فَدَعْ جَمَلَكَ ، فَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْن** » . **فَدَخَلْتُ ، فَصَلَّيْتُ ، فَأَمَرَ بلالاً أَنْ يَزِنَ لَهُ أُوقيَّةً . فَوَزَنَ لِى بِلالٌ ، فَأَرْجَحَ فى الْمِيزَانِ** – وفى رواية : « وزادنى قيراطًا » – **فَانْطَلَقْتُ حَتَّى وَلَّيْتُ** – فى رواية « فدخلت المسجد وعقلت الجمل ، فقلت له : هذا جملك ، فجعل يطيف بالجمل ، ويقول : جملنا جملنا ، ونقدنى ثمنه ، وانصرفت ، وبعد أن وصلت إلى بيتى – **فَقَالَ** : « **ادْعُ لِى جَابِراً** » – وجاءنى الرسول يدعونى – **قُلْتُ** – فى نفسى – **الآنَ يَرُدُّ عَلَىَّ الْجَمَلَ ، وَلَمْ يَكُنْ شَىْءٌ أَبْغَضَ إِلَىَّ مِنْهُ** – أبغض إلىَّ من رده ؛ لأننى كنت قد رسمت فى نفسى أن اشترى من الأوقية جملا أحسن منه ، ويفيض لى مبلغًا أدفعه من دين أبى الذى استشهد فى أحد ، عليه دين ليهود ، فلما وصلت إليه – **قَالَ** : « **خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ** » . فى رواية : « خذ جملك وثمنه فهما لك » وفى رواية « فلما أتيته دفع إلى البعير ، وقال : هو لك ، فمررت برجل من اليهود ، فأخبرته ، فجعل يعجب ، ويضرب كفًا على كفٍّ ، ويقول : اشترى

منك البعير ، ودفع إليك الثمن ، ثم وهبه لك ؟ قلت : نعم . قال : عجبا .

٢٣٠٩ – وتحت باب إذا وكل رجلا أن يعطى شيئًا ، ولم يبين كم يعطى ، فأعطى على ما يتعارفه الناس فهو جائز ، قال صلى الله عليه وسلم لبلال : وزده ، فزاده قيراطًا .

وبلفظ : **كُنْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى سَفَرٍ ، فَكُنْتُ عَلَى جَمَلٍ ثفالٍ** – بفتح الثاء والفاء بطيء السير – **إِنَّمَا هُوَ فِى آخِرِ الْقَوْمِ ، فَمَرَّ بِى النَّبِىُّ ﷺ ، فَقَالَ : « مَنْ هَذَا » ؟ قُلْتُ : جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . قَالَ : « مَا لَكَ » ؟ قُلْتُ : إِنِّى عَلَى جَمَلٍ ثَفَالٍ . قَالَ : « أَمَعَكَ قَضِيبٌ » ؟** – عصا – **قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « أَعْطِنِيهِ » ، فَأَعْطَيْتُهُ ، فَضَرَبَهُ ، فَزَجَرَهُ** – يحتمل أن عصا جابر هى المحجن فى الحديث ٢٠٩٧ ، وأضيف هناك إلى الرسول ﷺ إضافة حيازة ، ويحتمل أن المحجن ملك رسول الله ﷺ ونخسه به وضربه بالعصا – **فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ** – أى بدءًا من ذلك – **مِنْ أَوَّلِ الْقَوْمِ . قَالَ : « بِعْنِيهِ » ، فَقُلْتُ : بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « بِعْنِيهِ . قَدْ أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ** – هى قيمة الأوقية من الذهب – **وَلَكَ ظَهْرُهُ** – ركوبه – **إِلَى الْمَدِينَةِ » . فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَخَذْتُ أَرْتَحِلُ** – وأتقدم متعجلا – **قَالَ : « أَيْنَ تُرِيدُ » . قُلْتُ : تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قَدْ خَلاَ مِنْهَا** – أى خلا شبابها ومضى ، وذهب منها التدلل ، وأصبحت حريصة على الإسراع والرغبة فى الرجال – **قَالَ : « فَهَلاَّ** – تزوجت – **جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ » ؟ قُلْتُ : إِنَّ أَبِى تُوُفِّىَ وَتَرَكَ بَنَاتٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْكِحَ امْرَأَةً قَدْ جَرَّبَتْ** – المعايشة والخدمة – **خَلاَ مِنْهَا** – الطيش والسذاجة – **قَالَ « فَذَلِكَ »** – حسن – **فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ : « يَا بِلاَلُ . اقْضِهِ وَزِدْهُ » . فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ ، وَزَادَهُ قِيرَاطاً . قَالَ جَابِرٌ لاَ تُفَارِقُنِى زِيَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** – تبركًا بها – **فَلَمْ يَكُنِ الْقِيرَاطُ يُفَارِقُ جِرَابَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ** . زاد فى رواية : « فأخذه أهل الشام يوم الحرة » يوم حربهم ابن

الزبير وانتصارهم على أتباعه فى المدينة ، واستباحتهم المدينة ثلاثة أيام .

٢٣٨٥ – وبلفظ : **غَزَوْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ أَتَبِيعُنِيهِ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَبِعْتُهُ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ غَدَوْتُ إِلَيْهِ بِالْبَعِيرِ ، فَأَعْطَانِى ثَمَنَهُ** . فالنبى ﷺ اشترى وهو فى الطريق ، ونقده ثمنه بعد الوصول .

٢٣٩٤ – وبلفظ : **أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ وَهْوَ فِى الْمَسْجِدِ** – ضحى – **فَقَالَ « صَلِّ رَكْعَتَيْنِ » . وَكَانَ لِى عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَضَانِى وَزَادَنِى .**

٢٤٠٦ – **وبلفظ : غَزَوْتُ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ عَلَى نَاضِحٍ لَنَا** – على جمل كنا نسقى عليه – **فَأَزْحَفَ الْجَمَلُ** – كلَّ وتعب وأعيا – **فَتَخَلَّفَ عَلَىَّ فَوَكَزَهُ صلى الله عليه وسلم مِنْ خَلْفِهِ ، قَالَ : « بِعْنِيهِ وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ». فَلَمَّا دَنَوْنَا اسْتَأْذَنْتُ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّى حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ . قَالَ صلى الله عليه وسلم : « فَمَا تَزَوَّجْتَ بِكْراً أَمْ ثَيِّباً » ؟ قُلْتُ : ثَيِّباً ، أُصِيبَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَتَرَكَ جَوَارِىَ صِغَاراً ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبا تُعَلِّمُهُنَّ وَتُؤَدِّبُهُنَّ ، ثُمَّ قَالَ : « ائْتِ أَهْلَكَ » . فَقَدِمْتُ ، فَأَخْبَرْتُ خَالِى بِبَيْعِ الْجَمَلِ فَلامَنِى ، فَأَخْبَرْتُهُ بِإِعْيَاءِ الْجَمَلِ ، وَبِالَّذِى كَانَ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ وَوَكْزِهِ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِىُّ ﷺ غَدَوْتُ إِلَيْهِ بِالْجَمَلِ ، فَأَعْطَانِى ثَمَنَ الْجَمَلِ ، وَالْجَمَلَ ، وَسَهْمِى مَعَ الْقَوْمِ** – من غنائم الغزوة .

٢٤٧٠ – وبلفظ : **دَخَلَ النَّبِىُّ ﷺ الْمَسْجِدَ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، وَعَقَلْتُ الْجَمَلَ فِى نَاحِيَةِ الْبَلاطِ** – حجارة كانت مفروشة عند باب المسجد ، والحديث واضح فى جواز ربط البعير ونحوه عند باب المسجد ، إذا لم يتضرر به أحد – **فَقُلْتُ هَذَا جَمَلُكَ . فَخَرَجَ فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْجَمَلِ قَالَ : « الثَّمَنُ وَالْجَمَلُ لَكَ »** .

٢٦٠٣ – وبلفظ : **أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فِى الْمَسْجِدِ فَقَضَانِى وَزَادَنِى .**

٢٦٠٤ – وبلفظ : بِعْتُ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ بَعِيراً فِى سَفَرٍ ، فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ : « ائْتِ الْمَسْجِدَ ، فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ » . فَوَزَنَ – وفى رواية : فَوَزَنَ لِى فَأَرْجَحَ ، فَمَا زَالَ مِنْهَا شَىْءٌ حَتَّى أَصَابَهَا أَهْلُ الشَّأْمِ يَوْمَ الْحَرَّةِ .

٢٧١٨ – وبلفظ : كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا ، فَمَرَّ النَّبِىُّ ﷺ فَضَرَبَهُ ، فَدَعَا لَهُ ، فَسَارَ بِسَيْرٍ لَيْسَ يَسِيرُ مِثْلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « بِعْنِيهِ بِوَقِيَّةٍ » ؟ قُلْتُ : لاَ . ثُمَّ قَالَ : « بِعْنِيهِ بِوَقِيَّةٍ » . فَبِعْتُهُ ، فَاسْتَثْنَيْتُ حُمْلاَنَهُ إِلَى أَهْلِى ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ ، وَنَقَدَنِى ثَمَنَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، فَأَرْسَلَ عَلَى إِثْرِى ، قَالَ : « مَا كُنْتُ لآخُذَ جَمَلَكَ ، فَخُذْ جَمَلَكَ ذَلِكَ فَهْوَ مَالُكَ » .

وفى رواية : « أَفْقَرَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ » أى حملنى على فقاره وهى عظام ظهره ، وفى رواية : « لَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ » . وفى رواية : « شَرَطَ ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ » . وفى رواية : « وَلَكَ ظَهْرُهُ حَتَّى تَرْجِعَ » . وفى رواية : « أَفْقَرْنَاكَ ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ » وفى رواية : « تَبَلَّغْ عَلَيْهِ إِلَى أَهْلِكَ » .

٢٨٦١ – وبلفظ : فَلَمَّا أَنْ أَقْبَلْنَا قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَعَجَّلَ إِلَى أَهْلِهِ فَلْيُعَجِّلْ » . قَالَ جَابِرٌ : فَأَقْبَلْنَا وَأَنَا عَلَى جَمَلٍ لِى أَرْمَكَ – أى يخالط حمرته سواد – لَيْسَ فِيهِ شِيَةٌ – ليس فيه علامة – وَالنَّاسُ خَلْفِى ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ قَامَ عَلَىَّ ، فَقَالَ لِى النَّبِىُّ ﷺ : « يَا جَابِرُ اسْتَمْسِكْ » . فَضَرَبَهُ بِسَوْطِهِ ضَرْبَةً ، فَوَثَبَ الْبَعِيرُ مَكَانَهُ . فَقَالَ : «أَتَبِيعُ الْجَمَلَ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَدَخَلَ النَّبِىُّ ﷺ الْمَسْجِدَ فِى طَوَائِفِ أَصْحَابِهِ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، وَعَقَلْتُ الْجَمَلَ فِى نَاحِيَةِ الْبَلاَطِ . فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا جَمَلُكَ . فَخَرَجَ ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْجَمَلِ وَيَقُولُ : « الْجَمَلُ جَمَلُنَا ». فَبَعَثَ النَّبِىُّ ﷺ أَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ : « أَعْطُوهَا جَابِراً » . ثُمَّ قَالَ : « اسْتَوْفَيْتَ الثَّمَنَ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « الثَّمَنُ وَالْجَمَلُ لَكَ » .

٢٩٦٧ – وتحت استئذان الرجل الإمام بلفظ : **غزوتُ مع رسولِ اللَّه ﷺ قال : فتلاحق بى النَّبىُّ ﷺ** – أى حاول اللحاق بى فلحقنى ، فملاحقته مقصودة ، وليست صدفة – **وأنا على ناضحٍ لنا قدْ أعيا ، فلا يكادُ يسيرُ ، فقال لى : « ما لبعيرِكَ » ؟ قال : قُلْتُ : عيىَ . قالَ : فتخلَّفَ رسُولُ اللَّه ﷺ** – أى اتجه خلف البعير – **فزجرَهُ** – بالمحجن والعصا – **ودعا لهُ ، فما زال بيْنَ يدى الإبلِ** – فأصبح وظل أمامها – **قُدَّامهَا يسيرُ . فقالَ لى : « كيْفَ ترَى بعيرَكَ » الآن ؟ قال : قُلْتُ : بخيْرٍ ، قدْ أصابتْهُ بركتُكَ . قالَ : « أفتبيعُنيه » . قالَ** : كنت أريد أن أقول :لا – **فاستحْيَيْتُ ، ولمْ يكُنْ لنا ناضحٌ** – يحمل إلينا الماء – **غيْرَهُ ، قالَ : فقُلْتُ : نعمْ . قالَ « فبعْنيه » . فبعْتُهُ إيَّاهُ على أنَّ لى فقارَ ظهْرِه** – أى ركوبه – **حتَّى أبْلُغَ الْمدينةَ . قالَ : فقُلْتُ : يا رسُولَ اللَّه ، إنِّى عرُوسٌ ، فاستأْذنْتُهُ** – فى الإسراع والسبق – **فأذنَ لى ، فتقدَّمْتُ النَّاسَ إلى الْمدينةِ حتَّى أتيْتُ الْمدينةَ** – قريب دارى – **فلقينى خالى** – ورأى البعير بحالة جيدة غير التى كان عليها – **فسألنى عن الْبعيرِ ، فأخْبرْتُهُ بمَا صنعْتُ فيه فلامَنى** – على بيعه مع شدة الحاجة إليه – **قالَ : وقدْ كانَ رسُولُ اللَّه ﷺ قالَ لى حينَ استأْذنْتُهُ : « هلْ تزوَّجْت بكْراً أمْ ثيِّباً » ؟ فقُلْتُ : تزوَّجْتُ ثيِّباً . فقالَ : « هلاَّ تزوَّجْت بكْراً تُلاعبُها وتُلاعبُك » ؟ قُلْتُ : يا رسُولَ اللَّه ، تُوُفِّى والِدى** – أو استُشْهِد – **ولى أخواتٌ صغارٌ ، فكرِهْتُ أنْ أتزوَّجَ مثْلَهُنَّ ، فلا تُؤدِّبُهُنَّ ، ولاَ تقُومُ عليْهِنَّ ، فتزوَّجْتُ ثيِّباً لتقُومَ عليْهِنَّ وتُؤدِّبَهُنَّ . قالَ : فلمَّا قدمَ رسُولُ اللَّه ﷺ الْمدينةَ غدوْتُ عليْه بِالْبعيرِ ، فأعْطانى ثمَنهُ وردَّهُ علىَّ** .

٣٠٨٧ – وبلفظ : **كُنْتُ معَ النَّبىِّ ﷺ فِى سفَرٍ ، فلمَّا قدمْنا الْمدينةَ قالَ لى : « ادْخُلِ الْمسْجدَ فصلِّ ركْعتيْنِ »** .

٣٠٨٩ – وبلفظ : **أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا قدمَ الْمدينةَ نحرَ جزُوراً** – ولد

الإبل – **أَوْ بَقَرَةَ** . وفى رواية عن جابر : **اشْتَرَى مِنِّى النَّبِىُّ ﷺ بَعِيرا بوَقِيَّتَيْنِ** – الرواية المعتمدة بأوقية – **وَدِرْهَمٍ أَوْ دِرْهَمَيْنِ** – المعتمد "درهم" من غير شك – **فَلَمَّا قَدِمَ صِرَاراً** – موضع بظاهر المدينة ، بينه وبينها آنذاك ثلاثة أميال – **أَمَرَ بِبَقَرَةٍ ، فَذُبِحَتْ ، فَأَكَلُوا مِنْهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَمَرَنِى أَنْ آتِىَ الْمَسْجِدَ فَأُصَلِّىَ رَكْعَتَيْنِ ، وَوَزَنَ لِى ثَمَنَ الْبَعِيرِ** .

٤٠٥٢ – وبلفظ مختصر وفيه : **إِنَّ أَبِى قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ كُنَّ لِى تِسْعَ أَخَوَاتٍ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجْمَعَ إِلَيْهِنَّ جَارِيَةً خَرْقَاءَ مِثْلَهُنَّ ، وَلَكِنِ امْرَأَةً تَمْشُطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ . قَالَ : « أَصَبْتَ »** .

٥٠٧٩ – وبلفظ : **قَفَلْنَا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةٍ فَتَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِى قَطُوفٍ** – سيئ السير بطيء – **فَلَحِقَنِى رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِى ، فَنَخَسَ بَعِيرِى بِعَنَزَةٍ** – عصا صغيرة – **كَانَتْ مَعَهُ ، فَانْطَلَقَ بَعِيرِى كَأَجْوَدِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الإِبِلِ ، فَإِذَا النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ : « مَا يُعْجِلُكَ » . قُلْتُ : كُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرُسٍ . قَالَ : « بِكْراً أَمْ ثَيِّباً » ؟ قُلْتُ : ثَيِّبٌ . قَالَ « فَهَلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ » ؟ قَالَ : فَلَمَّا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ قَالَ : « أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلاً** – أى عشاء – وحتى يصل خبر وصولنا إلى النساء – **لِكَىْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ** – التى أهملت شعرها لغياب زوجها – **وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ »** – وتزيل التى غاب زوجها شعر العانة بالموسى استعدادًا لزوجها.

٥٠٨٠ – وبلفظ : **تَزَوَّجْتُ ، فَقَالَ لِى رَسُولُ ﷺ : « مَا تَزَوَّجْتَ » ؟ فَقُلْتُ : تَزَوَّجْتُ ثَيِّباً . فَقَالَ : « مَا لَكَ وَلِلْعَذَارَى وَلِعَابِهَا »** – بكسر اللام من الملاعبة ، وبضمها مص لعابها وريقها ، أى ما كان ينبغى أن تتخلى عن هذه المتعة –.

٥٢٤٣ – وتحت باب لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة ، مخافة أن يخونهم – أى يقع فى نفسه خيانتهن ، ويتكلف ذلك إذا فاجأ ، فرأى ما يثير

غيرته ، أو يلتمس عثراتهن ، أو يتكلف إلحاق الأخطاء والتقصير منهن .

وبلفظ : كَانَ النَّبىُّ ﷺ يكْرَهُ أَنْ يأْتِىَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقــاً – أى ليلا على غفلة ، وهذا النهى للكراهة .

٥٢٤٤ – وبلفظ : « إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ فَلاَ يطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلاً » .

٥٢٤٥ – وكُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فِى غَزْوَة ، فَلَمَّا قَفَلْنَا تَعجَّلْتُ عَلَــى بَعِيــرٍ قَطُوف فَلَحِقَنِــى رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِى ، فَالْتَفَتُّ ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّـــه ﷺ قَالَ : « ما يُعْجِلُكَ » ؟ قُلْتُ : إِنِّى حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ . قَالَ : « فَبكْراً تزَوَّجْتَ أَمْ ثَيِّباً » ؟ قُلْتُ : بَلْ ثَيِّباً . قَالَ : « فَهلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وتُلاَعِبُكَ » . قَــالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ ، فَقَالَ : « أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَــيْلاً – أىْ عــشاءً – لِكَىْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ وتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ » . قَالَ : وَحَدَّثَنِى الثِّقَةُ أَنَّهُ قَالَ فِى هَــذَا الْحَدِيثِ : « الْكَيْسَ الْكَيْسَ يَا جَابِرُ ».

دين جابر والمعجزة

٢١٢٧ – وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : تُوُفِّىَ عَبْدُ اللَّه بْنُ عَمْرِو بْنِ حَــرَامٍ – هو أبوه استشهد يوم أحد – وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَاسْتَعَنْتُ النَّبِىَّ ﷺ عَلَــى غُرَمَائِــهِ أَنْ يَضَعُوا مِنْ دَيْنِه ، فَطَلَبَ النَّبِىُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يفْعَلُوا ، فَقَالَ لِى النَّبِــىُّ ﷺ : « اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافاً ، الْعَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ ، وَعَذْقَ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ – نوع من التمر معروف بالمدينة بهذا الاسم – ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَىَّ ». فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ أَرْسَــلْتُ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَجَلَسَ عَلَى أَعْلاَهُ ، أَوْ فِى وَسَطِه ثُمَّ قَالَ : « كِــلْ لِلْقَــوْمِ » . فَكِلْتُهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمُ الَّذِى لَهُمْ ، وبَقِىَ تَمْرِى ، كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْــهُ شَــىْءٌ . وفى رواية عن جابر ﷺ : فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّاهُ. وفى رواية عنه : « جُذَّ لَهُ – أى اقطع واجمع تمرك – فَأَوْفِ لَهُ».

٢٣٩٥ – وبلفظ : أنَّ أَبَاهُ قُتل يومَ أُحُد شهيدًا ، وعَلَيْه دَيْنٌ ، فاشْتدَّ الْغُرماءُ فى حُقُوقِهِمْ ، فأَتَيْتُ النبىَّ ﷺ فسألْهُمْ أنْ يقْبَلُوا تمرَ حائطى ويُحلِّلُوا أبى ، فأَبَوْا ، فلَمْ يُعْطِهِم النَّبىُّ ﷺ حائطى ، وقَالَ : « سنغْدُو عليْكَ » سنأتيك غدًا صباحًا – فَغَدَا عَلَيْنَا حينَ أصْبَحَ ، فطَافَ فى النَّخْلِ ، ودَعَا فى ثَمرِهَا بِالْبَرَكَةِ ، فَجَدَدْتُهَا – أى قطعت ثمرها – فَقَضَيْتُهُمْ ، وبَقِىَ لَنَا منْ تمْرِهَا .

٢٣٩٦ – وبلفظ : أنَّ أَبَاهُ تُوُفِّى ، وتَرَكَ عليْه ثلاثين وَسْقًا لرَجُل منَ الْيَهُودِ ، فاسْتَنْظَرَهُ جَابرٌ – وطلب تأجيل بعض دينه إلى عام آخر – فَأَبَى أَنْ يُنْظِرهُ ، فكَلَّمَ جَابرٌ رسُولَ اللَّه ﷺ ليَشْفَعَ لَهُ إِلَيْه ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وكلَّمَ الْيَهُودىَّ ؛ ليأْخُذَ ثمرَ نَخْلِه – بالمديونية – بالَّذى لَهُ فَأَبَى ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ النَّخْلَ ، فمَشَى فيها ، ثُمَّ قَالَ لجَابرٍ : « جُدَّ لَهُ ، فَأَوْفِ لَهُ الَّذى لَهُ » . فَجَدَّهُ بَعْدَ مَا رَجعَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَأَوْفَاهُ ثَلاثين وَسْقًا ، وفَضَلَتْ لَهُ سبْعَةَ عشَرَ وَسْقًا ، فَجَاءَ جَابرٌ رسُولَ اللَّه ﷺ ؛ ليُخْبِرَهُ بالَّذى كَانَ ، فوَجَدَهُ يُصلِّى الْعَصْرَ ، فَلَمَّا انْصرَفَ أَخْبَرَهُ بِالْفَضْلِ ، فَقَالَ : « أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ الْخَطَّاب » . فَذَهَبَ جَابرٌ إِلَى عُمَرَ ، فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَقَدْ عَلمْتُ – أن سيحصل ذلك – حِينَ مَشَى فِيهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ لَيُبَارِكَنَّ فِيهَا.

٢٤٠٥ – وبلفظ : أُصيبَ عَبْدُ اللَّه وتَرَكَ عيالاً وَدَيْنًا ، فطَلَبْتُ إِلَى أَصْحَابِ الدَّيْن أَنْ يَضَعُوا بَعْضًا منْ دَيْنه فأَبَوْا ، فأَتَيْتُ النَّبى ﷺ ، فاسْتَشْفَعْتُ به عَلَيْهِمْ ، فَأَبَوْا ، فقَالَ : « صَنِّفْ تمْرَكَ كُلَّ شَىْءٍ منْهُ عَلَى حدَته ، عذْقَ ابْنِ زَيْدٍ عَلَى حدَة ، وَاللِّينَ عَلَى حدَة ، وَالْعَجْوَةَ عَلَى حدَة ، ثُمَّ أَحْضرْهُمْ حتَّى آتيَكَ » . فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ جَاءَ ﷺ فَقَعَدَ عَلَيْه ، وكَالَ لكُلِّ رَجُلٍ حتَّى اسْتَوْفَى ، وبَقِىَ التَّمْرُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ .

٢٦٠١ – وبلفظ ما سبق غير أن فيه : فَلَمْ يُعْطِهِمْ رَسُولُ اللَّه ﷺ حَائِطِى ، ولَمْ يَكْسِرْهُ لَهُمْ ... « سأَغْدُو عَلَيْكَ » إن شاء الله ... وبَقِىَ لَنَا منْ

ثَمرِهَا بقيَّةٌ ... فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لعُمَرَ : « اسْمَعْ - وهُوَ جالسٌ - يَا عُمَرُ » . فقَالَ : ألاَ يكُونُ قَدْ علمْنَا أنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، واللَّهِ إنَّكَ لرَسُولُ اللَّهِ .

٢٧٠٩ - وبلفظ ما سبق غير أن فيه : فعَرَضْتُ علَى غُرَمَائِهِ أنْ يَأْخُذُوا التَّمْرَ بمَا عَلَيْهِ ، فأَبَوْا ولَمْ يرَوْا أنَّ فيه وَفَاءً ... فقَالَ : « إذَا جَدَدْتَهُ فوَضَعْتَهُ فِي الْمِرْبَدِ آذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ » . فجَاءَ ومَعَهُ أَبُو بكْرٍ وعُمَرُ فجَلَسَ عَلَيْهِ ، ودَعَا بالْبَرَكَةِ ، ثُمَّ قَالَ: « ادْعُ غُرَمَاءَكَ ، فأَوْفِهِمْ ». فمَا تَرَكْتُ أحَداً لَهُ عَلَى أَبِي دَيْنٌ إلاَّ قَضَيْتُهُ ، وفَضَلَ ثَلاثَةَ عَشَرَ وَسْقاً سَبْعَةٌ عَجْوَةٌ ، وَسِتَّةٌ لَوْنٌ أوْ سِتَّةٌ عَجْوَةٌ وسَبْعَةٌ لَوْنٌ ، فوَافَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ فذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فضَحِكَ ، فقَالَ : « ائتِ أَبَا بكْرٍ وعُمَرَ فأَخْبِرْهُمَا » . فقَالاَ لقَدْ علِمْنَا إذْ صنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا صنَعَ أنْ سيَكُونُ ذَلِكَ .

وفى رواية : صَلاَةَ الْعَصْرِ . ولَمْ يَذْكُرْ أَبَا بكْرٍ ولاَ ضَحِكَ

وفى رواية : صَلاَةَ الظُّهْرِ .

٢٧٨١ - وبلفظ ما سبق غير أن فيه : وتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ ، وتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً ، فلَمَّا حَضَرَ جِدَادُ النَّخْلِ - موعد قطع ثمره - أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ علِمْتَ أنَّ وَالِدِي اسْتُشْهِدَ يوْمَ أُحُدٍ وتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً كثِيراً ، وإنِّي أُحِبُّ أنْ يرَاكَ الْغُرَمَاءُ . قَالَ : « اذْهَبْ فبَيْدِرْ كُلَّ تمْرٍ علَى نَاحِيَتِهِ » - أى اجعل كل صنف فى بيدر (فى مكان) - ففَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ ، فلَمَّا نظَرُوا إلَيْهِ أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ - أى أثاروني وهيجوني بكلامهم ونظراتهم وتصرفاتهم - فلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أطَافَ حَوْلَ أعْظَمِهَا بَيْدَراً ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « ادْعُ أَصْحَابَكَ » . فمَا زَالَ يكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي ، وأَنَا وَاللَّهِ رَاضٍ أنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي ، ولاَ أَرْجِعَ إلَى أَخَوَاتِي بتَمْرَةٍ ، فسَلِمَ وَاللَّهِ الْبَيَادِرُ كُلُّهَا حَتَّى أنِّي أَنْظُرُ إلَى الْبَيْدَرِ الَّذِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً .

٣٥٨٠ – وبلفظ مختصر مما سبق ، غير أن فيه : فَقُلْتُ : إِنَّ أَبِى ترك عَلَيْهِ دَيْنًا وَلَيْسَ عِنْدِى إِلاَّ مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ ، وَلاَ يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ سِنِين مَا عَلَيْهِ ، فَانْطَلِقْ مَعِى لِكَىْ لاَ يُفْحِشَ عَلَىَّ الْغُرَمَاءُ . فَمَشَى حَوْلَ بَيْدَرٍ مِنْ بَيَادِرِ التَّمْرِ ، فَدَعَا ثَمَّ آخَرَ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « انْزِعُوهُ » . فَأَوْفَاهُمُ الَّذِى لَهُمْ ، وَبَقِىَ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ .

وفى إحدى الزيارات للتشفع للدين كان هذا الحديث :

٦٢٥٠ – عن جابر ﷺ قال :أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فِى دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِى فَدَقَقْتُ الْبَابَ ، فَقَالَ : « مَنْ ذَا » . فَقُلْتُ : أَنَا ؟ فَقَالَ : « أَنَا أَنَا » . كَأَنَّهُ كَرِهَهَا .

اعتمد جابر على أنه كثر مجيئه ، وكثرت لقاءاته ، وعرف صوته ، وما كان له أن يعتمد على ذلك ، بل كلن عليه أن يقول : أنا جابر ، ولا بأس أن يذكر المستأذن لقبه المشرف ، فيقول : أنا الشيخ فلان ، أو أنا القاضى فلان . إذا لم يحصل التمييز إلا بذلك .

جابر يدعو أهل الخندق إلى طعام فيبارك

٤١٠١ – عن جابر ﷺ قَالَ : إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَاءُوا النَّبِىَّ ﷺ فَقَالُوا : هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِى الْخَنْدَقِ ، فَقَالَ : « أَنَا نَازِلٌ » . ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا ، فَأَخَذَ النَّبِىُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِى إِلَى الْبَيْتِ . فَقُلْتُ لاِمْرَأَتِى : رَأَيْتُ بِالنَّبِىِّ ﷺ شَيْئًا ، مَا كَانَ فِى ذَلِكَ صَبْرٌ ، فَعِنْدَكِ شَىْءٌ ؟ قَالَتْ : عِنْدِى شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ . فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِى الْبُرْمَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِىَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِىِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ . فَقُلْتُ : طُعَيِّمٌ لِى ، فَقُمْ أَنْتَ

يا رسُول اللَّه ورجُلٌ أوْ رجُلان . قال : « كمْ هُو » ؟ فذكرْتُ لــهُ ، قــال : « كثيرٌ طيِّبٌ » . قال : « قُلْ لها : لا تنْزعُ البُرْمةَ ولا الْخُبْزَ من التَّنُّــور حتَّــى آتي » . فقال : « قُومُوا » . فقام الْمُهاجرُون والأنْصارُ ، فلمَّا دخــل علــى امْرأته قال : ويْحك جاءَ النَّبىُّ ﷺ بالْمُهاجرين والأنْصار ومَنْ معهُمْ . قالــتْ : هلْ سألك؟ قُلْتُ : نعمْ . فقال : « ادْخُلُوا ولا تضاغطُوا » . فجعل يكسرُ الْخُبْزَ ويجْعلُ عليْه اللَّحْمَ ، ويُخمِّرُ الْبُرْمةَ والتَّنُّور إذا أخذ منْهُ ، ويُقرِّبُ إلى أصْحابه ، ثُمَّ ينْزعُ ، فلمْ يزلْ يكسرُ الْخُبْزَ ، ويغْرفُ حتَّى شبعُوا ، وبقى بقيَّةٌ قال : « كُلى هذا وأهْدى ، فإنَّ النَّاس أصابتْهُمْ مجاعةٌ » .

ومرض جابر ، فعاده رسول الله ﷺ هو وأبو بكر ، وكان الحـديث رقم :

٥٦٥١ – عن جابر بْن عبْد اللَّه – رضى الله عنهما – قال : مرضْتُ مرَضًا ، فأتانى النَّبىُّ ﷺ يعُودُنى وأبُو بكْر وهُما ماشيان ، فوجــدانى أُغْمــىَ علىَّ ، فتوضَّأ النَّبىُّ ﷺ ، ثُمَّ صبَّ وضُوءهُ علىَّ ، فأفقْتُ فإذا النَّبىُّ ﷺ فقُلْتُ : يا رسُول اللَّه ، كيْف أصْنعُ فى مالى ؟ كيْف أقْضى فى مالى ؟ فلــمْ يُجبْنــى بشىْءٍ حتَّى نزلتْ آيةُ الْميراث .

وشفى جابر ، ووعده رسول الله ﷺ بعطاء من جزيــة البحــرين ، وكانت قصة الحديث :

٢٢٩٦ – عنْ جابر بْن عبْد اللَّه – رضى الله عنهما – قال قال النَّبــىُّ ﷺ « لوْ قدْ جاءَ مالُ الْبحْريْن – كان مال الجزية – قدْ أعْطيْتُك هكذا وهكــذا وهكذا » . فلمْ يجئْ مالُ الْبحْريْن حتَّى قُبض النَّبىُّ ﷺ فلمَّا جاء مالُ الْبحْــرين أمر أبُو بكْر فنادى منْ كان لهُ عنْد النَّبىِّ ﷺ عدةٌ أوْ ديْنٌ فلْيأْتنــا . فأتيْتُــهُ ، فقُلْتُ : إنَّ النَّبىَّ ﷺ قال لى : كذا وكذا ، فحثى لى حثْيةً فعددْتُها فــإذا هــى خمْسُمائة ، وقال : خُذْ مثْليْها .

٢٥٩٨ – وبلفظ : « لَوْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هكذا ثَلاثًا » . فَلَمْ يَقْدَمْ حَتَّى تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ ... فَقُلْتُ إِنَّ رسول الله ﷺ وَعَدَنِي . فَحَثَى لِي ثَلاثًا .

٢٦٨٣ – وبلفظ : لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ جَاءَ أَبَا بَكْرٍ مَالٌ مِنْ قِبَلِ الْعَلاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَيْنٌ ، أَوْ كَانَتْ لَهُ قِبَلَهُ عِدَةٌ ، فَلْيَأْتِنَا . قَالَ جَابِرٌ : فَقُلْتُ : وَعَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعْطِيَنِي هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا ، فَبَسَطَ يَدَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ جَابِرٌ : فَعَدَّ فِي يَدِي خَمْسَمِائَةٍ ، ثُمَّ خَمْسَمِائَةٍ ، ثُمَّ خَمْسَمِائَةٍ .

٣١٣٧ – وبلفظ ما سبق غير أن فيه : وَقَالَ مَرَّةً : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَسَأَلْتُ فَلَمْ يُعْطِنِي ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَلَمْ يُعْطِنِي ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقُلْتُ سَأَلْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي ، ثُمَّ سَأَلْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي ، ثُمَّ سَأَلْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي ، فَإِمَّا أَنْ تُعْطِيَنِي ، وَإِمَّا أَنْ تَبْخَلَ عَنِّي ؟ قَالَ : قُلْتَ : تَبْخَلُ عني مَا مَنَعْتُكَ مِنْ مَرَّةٍ إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَكَ . فحثا لِي حَثْيَةً – قبض قبضة بكفه – وَقَالَ : عُدَّهَا . فَوَجَدْتُهَا خَمْسَمِائَةٍ قَالَ : فَخُذْ مِثْلَهَا مَرَّتَيْنِ .

وفي رواية : وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ .

٣١٦٤ – وبلفظ ما سبق غير أن فيه : فَقَالَ لِي : احْثُهْ . فَحَثَوْتُ حَثْيَةً فَقَالَ لِي : عُدَّهَا . فَعَدَدْتُهَا ، فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ ، فَأَعْطَانِي أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ .

٤٣٨٣ – وبلفظ ما سبق غير أن فيه : قَالَ جَابِرٌ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ أي بعد مجيء مال البحرين – فَسَأَلْتُهُ ، فَلَمْ يُعْطِنِي ... فَقَالَ : أَقُلْتَ : تَبْخَلُ عَنِّي ؟ وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ ؟ قَالَهَا ثَلاثًا ...

عبد اللّه بن عمرو والد جابر رضى اللّه عنهما

والد جابر بن عبد الله الصحابى المشهور ، شهد عبد الله بيعة العقبة الثانية ، وكان من النقباء ، ولم يشهد الأولى ، وشهد بدرًا ، واشتشهد بأحد ، وكان أول قتيل من المسلمين فيها ، ومُثِّل به ، فقطع أنفه وأذنه ، وفى الحديث:

١٢٤٤ - عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قَالَ : لَمَّا قُتِلَ أَبِى جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِى ، وَيَنْهَوْنِى عَنْهُ وَالنَّبِىُّ ﷺ لاَ يَنْهَانِى ، فَجَعَلَتْ عَمَّتِى فَاطِمَةُ تَبْكِى ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « تَبْكِينَ أَوْ لاَ تَبْكِينَ ، مَا زَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ » .

وفى هذا الحديث جواز كشف وجه الميت ، وأن ذلك لم يكن خاصًا برسول الله ﷺ .

وفى الحديث :

١٢٩٣ - عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - قَالَ : جِىءَ بِأَبِى يَوْمَ أُحُدٍ ، قَدْ مُثِّلَ بِهِ حَتَّى وُضِعَ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ سُجِّىَ ثَوْبًا ، فَذَهَبْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْهُ ، فَنَهَانِى قَوْمِى ، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْهُ فَنَهَانِى قَوْمِى ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَرُفِعَ ، فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ فَقَالَ : « مَنْ هَذِهِ » ؟ فَقَالُوا : ابْنَةُ عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو . قَالَ : « فَلِمَ تَبْكِى ؟ أَوْ لاَ تَبْكِى – فمثله يفرح لمنزلته – **فَمَا زَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ».**

دفن هو وعمرو بن الجموح فى قبر واحد ، وكان عمرو زوجًا لأخت عبد الله – وجرفه السيل فانكشف القبر ، قال جابر : فحفرت له قبرًا بعد ستة أشهر ، فحولته إليه ، فما أنكرت منه شيئًا ، وما تغير منه شيء إلا شعرات من لحيته ، كانت مستها الأرض ، كأنه مات بالأمس .

وروى عن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال : لقينى

رسول الله ﷺ فقال : يا جابر . مالى أراك منكسرا مهتما ؟ قلت : يا رسول الله استشهد أبى ، وترك عيالا ، وعليه دين . قال : أفلا أبشرك ما لقى الله به أباك ؟ قلت : بلى . يا رسول الله . قال : إن الله أحيا أباك ، وكلمه كفاحًا ومباشرة ودون واسطة ، وما كلم أحدًا قط إلا من وراء حجاب . فقال له : يا عبدى تمن أعطك . قال : يا رب . تردنى إلى الدنيا ، فأقتل فيك ثانية ، فقال الرب تعالى ذكره : إنه سبق القول منى أنهم إليها لا يرجعون . قال : يا رب فأبلغ من ورائى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران – الآية : ١٦٩ .

سلمان الفارسى رضي الله عنه

ويسمى سلمان الخير ، وسلمان ابن الإسلام ، كان أصله من فارس ، من رامهرمز ، من قرية يقال لها جى ، وكان أبوه يحبه حبًا جمًا ، وكانت أمه من الأغنياء معها مال كثير ، فأرسلته إلى الكتاب ، وكانوا يعبدون النار ، فسمع فى طريقه يومًا أصوات المسيحيين فى داخل الكنيسة يصلون ، فدخل عليهم ، وأعجب بصلاتهم ، والتقى بالقسيس فرغب فى النصرانية فآمن بالنصرانية وبعيسى ابن مريم ، فلما رجع أخبر أباه بما رأى فحبسه أبوه بعد أن جعل فى رجله قيدًا ، فبعث للنصارى الذين كانوا قد عرفوه أن أصل دينهم فى الشام ، فقرر فى نفسه أن يذهب إلي الشام يطلب النصرانية من ديارها قال لهم : إذا قدم عليكم تجار من الشام ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فبلغونى أصاحبهم إلى الشام ، قال : فلما أخبرونى ألقيت القيود من رجلى ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فانتقلت من قس فى كنيسة إلى قس فى كنيسة ، يخدم فى الكنيسة ، ويتعلم من القس ، ويصلى معه ، انتقل إلى الموصل ، ثم إلى نصيبين ، ثم إلى عمورية ، واكتسب بقرات وغنيمة ، وقال له قس عمورية : قد أظلنا زمان نبى يبعث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، ويهاجر من بلده إلى بلد بين جبلين ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة، ويقول سلمان : ثم مر بى نفر من كلب عرب تجار ا ، ، فقلت لهم : تحملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيماتى ؟ قالوا : نعم ، فأعطيتهم وحملونى ، حتى إذا قدموا بى وادى القرى ظلمونى فباعونى عبدًا لرجل يهودى ، وباعنى إلى رجل آخر ثم إلى رجل آخر يقول : تداولنى بضعة عشر سيدًا كان آخرهم بالمدينة من بنى قريظة ، ورأيت المدينة بين جبلين ، فقلت : هذه واحدة ، علامة من علامات الهدف ، وبعث الله رسوله بمكة ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر بسبب ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى

المدينة فسمعت به ، فقلت : وهذه الثانية ، فوالله إنى لعلى رأس نخلة لسيدى ، أصلح بعض شئونها ، وسيدى جالس إذ أقبل ابن عم له ، فقال : قدم رجل من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبى ، وهو الآن بقباء ، ويجتمع الناس به ، فنزلت عن النخلة وأنا أرتعش ، لا أملك نفسى ، فقد كدت أن أسقط من فوقها فقلت للرجل : ماذا تقول ؟ فقال ، فقلت ماذا تقول؟ فقال ، فقلت ماذا تقول ؟ فغضب سيدى فلكمنى لكمة شديدة ثم قال : ما لك ؟ اذهب إلى عملك ، قلت : لا شيء إنما أردت أن أتثبت عما قال ، وقد كان عندى بعض التمر قد جمعته ، فقال لسيده : هب لى يومًا ، فوهب له يومًا ، فاحتطب وباع ، واشترى تمرًا ، قال : فلما أمسيت أخذته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه بلغنى أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء أصحاب حاجة ، وهذا شيء كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده فلم يأكل . قال : فقلت فى نفسى : وهذه ثالثة . ثم انصرفت عنه ، فجمعت بعض التمر وتحول رسول الله ﷺ من قباء إلى المدينة ، ثم جئت به ، فقلت : إنى رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها ، قال : فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه أن يأكلوا معه ، فأكلوا قال : فقلت فى نفسى ، وهذه رابعة ، قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد – مقابر أهل المدينة– وقد تبع جنازة من أصحابه ، عليه شملتان له ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت انظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى ، فلما رآنى رسول الله استدرته عرف أنى أتثبت من شيء وصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فانكببت عليه أقبله وأبكى ، فقال رسول الله ﷺ: تحول ، فتحولت ، فقصصت عليه حديثى ، فأعجب الرسول ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه .

ثم شغل سلمان الرق ، حتى فاته من مصاحبة الرسول ﷺ غزوة بدر ، وغزوة أحد ، قال : ثم قال لى رسول الله ﷺ : يا سلمان كاتب ، أى اشتر نفسك بمقابل من المال تدفعه لسيدك ، وتعتق نفسك ، فكاتبت صاحبى على ثلاثمائة نخلة ، وأربعين أوقية من الذهب ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانونى بالنخل . الرجل منهم يعيننى بثلاثين ، والرجل يعيننى بعشرين ، والرجل يعيننى بعشر ، فقال رسول الله ﷺ : اذهب يا سلمان فاحفر لها ، فإذا فرغت فأتنى ، أكون أنا أغرسها بيدى ، فحفرت لها وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله ﷺ معى إليها ، فجعلنا نقرب له النخلة فيضعها رسول الله بيده ، فوالذى نفس سلمان بيده ما مات منها نخلة واحدة ، فأديت النخل ، وساعدنى رسول الله ﷺ فأديت الذهب وعتقت . قال : فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق – وكان صاحب فكرة حفر الخندق – ، ثم لم يفتنى معه مشهد .

وآخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء فوجد أم الدرداء متبذلة مهملة فى نفسها تلبس ملابس المهنة ، ولا تعنى بمظهرها ، فسألها ، فقالت أخوك أبو الدرداء زاهد ، لا شىء له فى متاع الحياة الدنيا ، فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان ، وأعد له طعامًا ، وقدمه إليه ، فقال سلمان : اطعم معى . قال : أنا صائم . قال : أقسمت عليك إلا طعمت ، وأنى لست بآكل حتى تطعم معى . فأكل معه وبات سلمان عند أبى الدرداء فلما كان الليل قام أبو الدرداء يصلى ، فحبسه سلمان ، وقال : يا أبا الدرداء إن لبدنك عليك حقًّ ، وإن لأهلك عليك حقًّ ، فأعط كل ذى حق حقه ، فلما كان وجه الصبح قال : قم الآن .قال : فقام ، فصليا ، ثم خرجا إلى الصلاة . قال فلما صلى رسول الله ﷺ قام إليه أبو الدرداء ، وأخبره بما قال سلمان ، فقال صلى الله عليه وسلم : صدق سلمان . صدق سلمان .

ولم يكن له بيت إنما كان يستظل بالجدر والشجر ، قال له رجل : ألا أبنى لك بيتًا تسكن فيه ؟ قال : ما لى به حاجة ، فأخذ الرجل يرغبه حتى قال له : إنى أعرف البيت الذى يوافقك ، قال : فصفه لى . قال : أبنى لك بيتًا إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه ، وإن أنت مددت فيه رجليك أصابها الجدار ، فقال : نعم ، فبنى له بيتًا كذلك .

وكان سلمان خيرًا فاضلًا حبرًا عالمًا زاهدًا متقشفًا كان عطاؤه فى عهد عمر رضى الله عنهما خمسة آلاف ، وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به ، ويأكل من عمل يده ، تعلم من الأنصار صناعة خوص النخل بيده ، فيعيش منه ، ولا يقبل من أحد شيئًا .

خرج فى الفتوحات إلى فارس ، فحاصر هو ومن معه قصرًا من قصورها ، فقال لأصحابه : دعونى حتى أفعل ما رأيت رسول الله ﷺ يفعله ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنى امرؤ منكم ، وإن الله رزقنى الإسلام ، فإن أنتم أسلمتم وهاجرتم إلينا فأنتم بمنزلتنا ، يجرى عليكم ما يجرى علينا ، وإن أنتم أسلمتم وأقمتم فى دياركم فأنتم بمنزلة الأعراب ، يجرى لكم ما يجرى لهم ، ويجرى عليكم ما جرى عليهم ، فإن أبيتم الإسلام والهجرة ، وأقررتم بالجزية فلكم ما لأهل الجزية ، وعليكم ما على أهل الجزية . أعرض عليكم ذلك ثلاثة أيام ، فحاربوا ، فانهزموا ، وانتصر جيشه عليهم ، ففتحوا مدينتهم .

وعينه عمر أميرًا للمدائن ، فدخل قوم عليه وهو يعمل الخوص فقالوا له : تعمل هذا وأنت أمير، يجرى عليك رزق؟ فقال : إنى أحب أن آكل من عمل يدى .

توفى سلمان ﷺ فى آخر خلافة عثمان ﷺ سنة خمس وثلاثين .

وكان يروى حديث رسول الله ﷺ يأمرنا فيه بأن يكون هدف أحدنا من الدنيا ما يبلغه ، مثل زاد الراكب . فلما مات أحصوا تركته ، فإذا قيمة ما ترك بضعة وعشرون درهمًا ومات بالمدائن ، ودفن بها . رضى الله عنه وأرضاه.

ثمامة بن أثال

سيد بنى حنيفة الذين يسكنون اليمامة ، بين مكة واليمن ، خرج من بلده معتمرًا ، وكان رسول الله ﷺ يخرج فرسانًا على خيل ، يجوبون الصحراء ، ويؤمنون أهل المدينة من أعدائهم ، ويأتون بأخبار القبائل ، فظفر الفرسان بثمامة بن أثال ، فأخذوه إلى المدينة.

ووصلوا ورسول الله ﷺ نائم ليلا ، فربطوا ثمامة فى عمود من أعمدة المسجد ، وبعد صلاة الفجر قالوا لرسول الله ﷺ ، فوقف عنده وكان يعرفه قبل ذلك ، فقال : يا ثمامة ماذا عندك ؟ وأى شىء عندك ؟ وما الذى استقر فى ظنك أن أفعله بك ؟ فقال : عندى خير ، ولا أخاف مصيرى ، لأنك لست ممن يظلم ، بل أنت ممن يعفو ويحسن ، وأن تقتلنى تقتل ذا دم ، أى صاحب دم ، أى تقتل رجلًا عليه ثأر ، وإن تنعم على تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال والفداء فسل ما شئت منه تعطه . فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد ، ثم وقف عنده ، ثم قال : يا ثمامة ماذا عندك ؟ فقال : ما قلت لك . إن تقتل تقتل ذا دم أى صاحب ثأر فتركه حتى كان بعد غد ، فوقف عنده ، وقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟ فقال مثل ما قال فى اليومين السابقين ، فقال صلى الله عليه وسلم : أطلقوا ثمامة ، ففكوا قيده ورباطه ، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم رجع إلى المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله . ثم قال : يا محمد ، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى ، والله ما كان دين أبغض إلى من دينك ، فقد أصبح دينك أحب الدين إلى ، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلى . وإن خيلك أخذتنى وإنى أريد العمرة فماذا ترى ؟ فأمره رسول الله ﷺ أن يعتمر وبشره بالجنة ، فلما وصل بطن مكة لبى ، فكان أول من دخل مكة ملبيًا .

فلما قدم مكة قال له أهلها : صبوت ؟ أى خرجت من دينك ؟ فقال : لا والله ما خرجت من الدين ، لأنه عبادة الأصنام ، والأصنام ليست دينًا ، ولكن أسلمت مع محمد ﷺ ، فأخذته قريش وقالت : لقد اجترأت علينا ، وسفهت ديننا ، واستهنت بمشاعرنا ، وأعلنت إسلامك فى بلدنا ومسامعنا ، وأرادوا قتله ، فقال لهم ناصح أمين : لا تقتلوه إنه سيد اليمامة التى تمولكم بالقمح وغيره مما تحتاجون . فأطلقوا سراحه على أن يغادر مكة فورًا . فقال لهم : يا أهل مكة ، والذى برأ النسمة ، ورب هذه البنية – أى الكعبة ، لا تأتيكم حبة قمح من اليمامة حتى يأذن فيها محمد ﷺ .

وفعلًا وصل اليمامة فمنع ميرة قريش ، فلما أضرت بهم هذه المقاطعة الاقتصادية كتبوا إلى النبى ﷺ كتابًا قالوا فيه : إنك تأمر بصلة الأرحام ، فاكتب إلى ثمامة أن يخلى بيننا وبين ميرتنا ، فكتب إليه بذلك فعادت لهم تجارتهم .

وأسلم بنو حنيفة ، وجاء وفدهم يستمد نور الإسلام من مصدر الإسلام ، ثم فتنوا بظهور مسيلمة الذى ادعى أنه أشرك فى النبوة مع رسول الله ﷺ ، وتبعه قومه فأخذ ثمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة ، فلما لم يستجيبوا له قرر الهجرة هو ومن تبعه من المسلمين وقال قصيدة طويلة ، فيها :

دعانا إلى ترك الديانة والهدى *** مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجع

فيا عجبًا من معشر قد تتابعوا *** له فى سبيل الغى والغى أشنع

وفى البعد عن الدار وقد ضل أهلها *** هدى واجتماع كل ذلك مهيع

وثبت كثير منهم على إيمانه ، وقاتلوا معه المرتدين من أهل البحرين ، وانتصروا عليهم رضى الله عنه وعن الصحابة أجمعين .

بلال بن رباح ﷺ

كان عبدًا حبشيًا أسمر اللون ، شديد السمرة نحيفا طويلا ، كان في سنّ أبي بكر ﷺ أسلم أحد سبعة سبقوا إلى الإسلام ، وأعلن إسلامه فأُوذى إيذاءً شديدًا ، كان المشركون يربطونه بالحبال ، ويطوقونه بالحبل في عنقه ، ويعطونه الولدان يجرونه ، ويطوفون به في شعاب مكة وزقاقها ، يسخرون منه ويستهزئون به ، وهو يقول : أحد ، أحد.

وكان سيده أمية بن خلف يلبسه درع حديد ، ويربطه في الشمس حتى تشتد سخونته وحرارته حتى يكاد الحديد ينصهر ، وهو يقول : أحد . أحد .

وكان أبو جهل يتسلى بتعذيب بلال حين يجتمع بأمية بن خلف ، فيبطحان بلالاً على بطنه على رمال ساخنة ، ويعمدان إلى رحى ثقيلة ، فيضعانها على ظهره ، ثم يقولان له : ستبقى على هذه الحالة حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد إلهك اللات والعزى ، فيقول : أحد . أحد .

وتألم رسول الله ﷺ لتعذيب بلال ، فقال لأبي بكر : لو كان لنا مال أشترينا بلالا . ومر أبو بكر على بلال وهو يعذب ، فقال لأمية ألا تتقى الله في هذا المسكين ؟ وإلى متى تعذبه ؟ قال أمية : أنت أفسدته ، فأنقذه إن استطعت . قال أبو بكر : عندى غلام أسود أجلد وأقوى من بلال ، وهو على دينك ، أعطيكه به . قال أمية : قد قبلت . قال أبو بكر : هو لله . فأعطاه أبو بكر غلامه ، وأخذ بلالا ، يقول أمية لأبي بكر : لو أعطيتنى أوقية واحدة أو أقل من أوقية ثمنًا لبلال لأعطيتكه ، قال أبو بكر : وأقسم بالله . لو أبيتم بيعه إلا بكذا وكذا – لشيء كثير – لاشتريته .

ثم أعتقه أبو بكر ، كما أعتق ستة ممن كان يعذب في سبيل الله ، بعد أن اشتراهم ومنهم عامر بن فهيرة .

وكان عمر ﷺ يقول : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا – يعنى بلالا .

وهاجر بلال إلى المدينة ، وهاجر رسول الله ﷺ ، وبنى مسجده ، وتشاوروا فى وسيلة يجمعون بها المصلين ، ويعلنونهم بوقت الصلاة ، ورأى عبد الله بن زيد ﷺ فى منامه رجلا يلقنه ألفاظ الأذان ، فأخبر رسول الله ﷺ ، فقال له : ألق هذه الكلمات على سمع بلال ليؤذن بها فإنه أندى وأرق وأعلى منك صوتًا ، وظل بلال مؤذن رسول الله ﷺ ، ولما شرع للفجر أذان قبل وقته أمر بلال أن يكون المؤذن الأول ، وأمر ابن أم مكتوم أن يكون المؤذن للصلاة ، وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لا يغرنكم أذان بلال ، فإنه يؤذن بليل ليستريح من السهر قائم الليل ، فينام لحظات قبل الفجر ، وليتسحر من يريد الصوم ، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم .

كان بلال صادق الإسلام قال عنه رسول الله ﷺ : « نعم المرء بلال ، وهو سيد المؤذنين يوم القيامة » . ويقول ابن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجيء بلال يوم القيامة معه لواء ، يتبعه المؤذنون ، حتى يدخلهم الجنة » وفى رواية : « نعم المرء بلال ، ولا يتبعه إلا مؤمن ، وهو سيد المؤذنين ، والمؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة » .

وعيَّنه رسول الله ﷺ خازنًا له ، وأمينًا على بيت المال ، وكان يتولى أمور النبى ﷺ ، يشترى له حوائجه من السوق ، سئل : كيف كانت نفقة النبى ﷺ ؟ فقال : ما كان له شيء كنت أنا الذى ألى – أى أتولى – له ذلك ، منذ بعثه الله ﷻ حتى توفى ، وكان إذا أتاه الرجل المسلم ، فرآه عاريًا يأمرنى به ، فانطلق ، فأستقرض ، وأشترى له البردة فأكسوه وأطعمه .

وآخى النبى ﷺ بينه وبين أبى عبيدة بن الجراح . وحصل نقاش وخصومة بينه وبين أبى ذر ، فقال له أبو ذر : يا ابن السوداء ، فغضب بلال، وشكا إلى رسول الله ﷺ ، فغضب رسول الله ﷺ ، فجاء أبو ذر ، وهو لا يعلم

أن بلالا شكاه ، فأعرض عنه النبى ﷺ ، فقال : ما أعرضك عنى إلا شيء بلغك يا رسول الله . قال : أنت الذى تعير بلالا بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية . قال : يا رسول الله . إنه سبنى ، ومن سب الرجال سبوا أباه وأمه . قال صلى الله عليه وسلم : إنك امرؤ فيك جاهلية . فوضع أبو ذر خده على الأرض ، وأقسم ألا يرفعه حتى يطأه بلال بقدمه ، فتصافيا .

جاهد بلال مع رسول الله ﷺ جميع غزواته ، حضر بدرًا وأحدًا والمشاهد بعدها . وفى بدر قُتل أبو جهل الذى كان يتسلى ويتمتع ويتفكه بتعذيب أوائل المسلمين بمكة وفى مقدمتهم بلال وعبد الله بن مسعود ، واشترك فى القضاء عليه ابن مسعود ، فأخذ بثأره ، وحمل رأسه إلى رسول الله ﷺ ، وأما بلال فقد مكنه الله من عدو الله أمية بن خلف الذى عذبه فى مكة أشد العذاب إذ كان عبدًا له . حضر أمية بن خلف معركة بدر مع المشركين ، فلما هزموا وفروا إلى شعاب الجبال تبع المسلمون فلولهم ، فرأى بلال أمية يريد أن ينجو بنفسه ، وكان شيخًا ثقيلا . وقف بلال على مجلس من الأنصار وأثار فيهم نخوة الجهاد ، وصرخ فيهم . أمية بن خلف وابنه على . لا نجوت إن نجا ، فجروا خلفه ، فقتلوا ابنه ، ثم جروا خلفه ، فأدركوه ، فضربوه بالسيوف ، فلما سقط وبرك تخللوه بالسيوف طعنًا حتى قتلوه ، فقال أبو بكر الصديق أبياتًا يهنئ بها بلالا ، يقول فيها :

هنيئًا زادك الرحمن خيرًا   فقد أدركت ثأرك يا بلال

ورأى رسول الله ﷺ فى منامه أنه دخل الجنة ، فسمع خشخشة رجل يمشى أمامه ، فقال : من هذا ؟ قيل له : بلال . فلما أصبح صلى الله عليه وسلم قال له : بم سبقتنى إلى الجنة ؟ وقص عليه الرؤيا ، وقال : إنى دخلت الجنة البارحة ، فسمعت خشخشة نعليك بين يدى فى الجنة ، فحدثنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام . قال : ما عملت عملا أرجى من أنى ما أحدثت حدثًا

أصغر إلا توضأت ، وما توضأت إلا رأيت أن لله تعالى على ركعتين فأصليهما . وكان كلما تذكر قول النبى ﷺ هذا بكى بكاء كثيرًا .

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة أمر بلالا أن يؤذن فوق الكعبة حتى يرى أهل مكة تكريم الإسلام للعبد الحبشى .

بلال بعد النبى ﷺ :

بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ومبايعة أبى بكر خليفة للمسلمين رغب بلال أن يخرج إلى مصر من الأمصار ، ليرابط فى سبيل الله ، فذهب إلى أبى بكر يستأذن فى ذلك . فقال : يا خليفة رسول الله . إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: أفضل عمل المؤمن الجهاد فى سبيل الله . قال أبو بكر : فماذا تشاء يا بلال ؟ قال : أريد أن أرابط فى سبيل الله حتى أموت . قال أبو بكر : أنشدك بالله يا بلال ، وحرمتى ، وحقى عليك – فقد كبرت وضعفت واقترب أجلى ، وأحتاجك بجوارى . لا تتركنى . قال بلال : لا أنسى فضلك على ، ولكن إن كنت اشتريتنى وأعتقتنى لنفسك فاحبسنى ، وإن كنت أعتقتنى لله ﷻ فذرنى أذهب إلى الله تعالى . فلما رأى الدمع يهطل من عينى أبى بكر أذن له طول حياته وبقى بجواره جتى مات فذهب يستأذن عمر فقال له قد أذنت لأبى بكر فأذن لى ، قال بلال : أذنت لأبى بكر لأنه كان ولى نعمتى ، فأذن له عمر فخرج إلى الشام .

ويقال إنه رأى النبى ﷺ فى المنام فلما انتبه ركب راحلته حتى أتى المدينة ، فزار قبر الرسول ﷺ فلما كان السحر علا سطح المسجد النبوى فأذن فلما قال الله أكبر . الله أكبر . ارتجت المدينة ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها ، وأخذت الناس رجفة شديدة تذكروا بالصوت عهد النبى ﷺ ، فلما قال : أشهد أن محمدًا رسول الله خرج النساء من خدورهن إلى المسجد فما رؤى يومئذ أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم .

وعاد بلال إلى الشام وذهب عمر والحاشية إلى الشام لزيارته ، وزيارة المجاهدين واستقبله ولاة الشام خارجه قبل دخوله ، وأشاروا عليه بعدم الدخول لانتشار مرض الطاعون فيه وقرر عمر العودة إلى المدينة وعدم الدخول ، لكنه طلب من بلال أن يؤذن يومه ، فأذن ، فبكى الناس ، وأخذوا يذكرون فضل بلال ومناقبه ، فكان يقول : إنما أنا حبشى كنت بالأمس عبدًا .

ومات بلال بطاعون عمواس سنة عشرين ، وقيل سنة إحدى وعشرين وله من العمر سبعون سنة ودفن بدمشق رضى الله عنه وأرضاه .

أنس بن مالك – أبو طلحة – أم سليم ﷺ

شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها – لا ندرى بأى أجزائها نبدأ ؟ أبالأغصان والزهور والثمار ؟ أم بالجذع القوى المتين ؟ أم بالجذور العريقة العميقة الأصيلة التى تشق طريقها فى قلب الإسلام ؟

بمنهج القصص نبدأ بالزمن والأحداث ، ونتابع مجريات الأمور وإن لم ترتب ، وإن لم تستوف حقوق الشخصيات .

أم سليم سهلة بنت ملحان الأنصارية من أهل المدينة ، من بنى النجار ، تزوجت فى شبابها فى الجاهلية مالك بن النضر ، فولدت له أنسًا .

ولما دخل الإسلام المدينة قبل الهجرة وبعد العقبة الأولى ، وأرسل إلى المدينة مصعب بن عمير ؛ ليدعو إلى الإسلام ويعلم أهله أسلمت أم سليم ، وعرضت الإسلام على زوجها فأبى وغضب ، وتركها وسافر إلى الشام ، فمرض هناك فمات . فتقدم إليها يخطبها زيد بن سهل بن الأسود بن حرام من قومها بنى النجار ، واشتهر بكنيته أبو طلحة ، فقالت أم سليم : يا أبا طلحة . ما مثلك يرد . أنت خير من ألف رجل ، ولكنك امرؤ كافر ، وأنا مسلمة ، لا تحل لى ، فإن تسلم فذلك مهرى ، يا أبا طلحة . ألست تعلم أن إلهك الذى تعبده نبت من الأرض ؟ قال : بلى . قالت : أفلا تستحى ؟ تعبد شجرة ؟ إن أسلمت فإنى لا أريد منك صداقًا غيره ، قال : أمهلينى حتى أنظر فى أمرى . فلما علم أنه لا سبيل إليها إلا بالإسلام أسلم ، فكان ذلك مهرها . قالت : يا أنس . زوج أمك أبا طلحة . فزوجها . وكانت أم سليم تقول : لا أتزوج حتى يبلغ أنس، ويجلس فى المجالس، فيقول: جزى الله أمى عنى خيرًا، لقد أحسنت ولايتى . فقال لها أبو طلحة : هاهو أنس قد جلس وتكلم وتولى أمر زواجك.

وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ووصلها ، واستقر عند أبى أيوب الأنصارى ، ولم تضيع أم سليم وأبو طلحة وقتًا ولا فرصة ، صحبت ابنها أنسًا ، وكان حينئذ ابن عشر سنين، وذهبت إلى رسول الله ﷺ هى وأبو طلحة، وقالت : يا رسول . هذا ابنى أنس وهو غلام كاتب ، يخدمك . فقبله رسول الله ﷺ ، فخدمه عشر سنين ، حتى توفى رسول الله ﷺ ، يقول أنس ﷺ : خدمت النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى عن شيء عملته : لم عملته ؟ ولا عن شيء لم أعمله : لمَ لمْ تعمله ؟

ومنذ سلمت أم سليم ابنها أنسًا إلى رسول الله ﷺ اعتبرت نفسها من أهلها صلى الله عليه وسلم ، فأكثرت من صحبته وزيارته فى بيته ، واعتبرها رسول الله ﷺ من أهله كأم ربيبه ، فكان لا يدخل بيتًا غير بيوت أزواجه إلا بيت أم سليم ، وكان بدارها بئر فيه ماء عذب يطيب للرسول ﷺ أن يشرب منه . وكان أحيانًا ينام نومة القيلولة عندها وعلى فراشها ، وكانت تُعدُّ له صلى الله عليه وسلم طعامًا ، تقدمه له تتحفه به ، أو ترسله إليه . يقول أنس : وربما حضرت الصلاة وهو فى بيتنا فيأمر بالبساط الذى تحته – وهو حصير ، فيكنس وينضح ويرش بالماء ، ثم يقوم ونقوم خلفه ، فيصلى بنا . وكانت تغزو معه ، تسقي الماء وتضمد الجرحى ، وتحرس الأمتعة ، واتخذت خنجرًا يوم حنين .

فقال زوجها أبو طلحة : يا رسول الله . أم سليم معها خنجر ، فقالت : اتخذته حماية لنفسى ، إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه .

ولدت لأبى طلحة ولدًا ، فكان رسول الله ﷺ يداعبه ، وكناه أبا عمير ، وكان يلعب بطائر صغير اسمه النغير ، فكان صلى الله عليه وسلم يقول له : يا أبا عمير . ما فعل النغير ؟ ومات النغير فرأى رسول الله ﷺ الطفل حزينًا ، فسأله عن سبب حزنه ؟ قال له : ما شأن أبى عمير حزينًا ؟ فقالت له أم سليم.

مات النغير . فواساه وضاحكه وأزال حزنه وجعل يمسح على رأسه ، وكان أبوه معجبًا به ، يحبه كثيرًا ، ويتعلق قلبه به ، فمرض الغلام مرضًا شديدًا ، كان أبوه لا يأكل ولا ينام حتى يسأل عنه ، ويطمئن عليه ، ومات الصبى ، وأمه أم سليم عاقلة حكيمة مؤمنة بقضاء الله وقدره ، فرأت أن تخفف الصدمة على أبيه ، وأن توصل إليه الخبر هينًا ، غطت الصبى فى ركن الحجرة ، وجففت دموعها ، وكتمت صراخها وعويلها ، وحبست حزنها فى داخلها ، وقالت لمن معها فى البيت : عندما يدخل أبو طلحة البيت لا يذكر أحد له وفاة ابنه قبلى . فلما جاء أبو طلحة استقبلته بوجه لا حزن فيه . سألها عن ابنه ؟ فقالت : هو الآن أسكن مما كان ، وأرجو أن يكون قد استراح ، فظن أنه عوفى ، وكان صائمًا ، وكانت قد هيأت له طعامًا ، فقدمته إليه ، فأكل ، ثم تزينت له وتطييت ، فنام معها ، وأصاب منها ، فلما أصبح واغتسل وأراد أن يخرج قالت له : يا أبا طلحة . أرأيت لو أن قومًا أعاروا أهل بيت عارية ، فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوها ؟ قال : لا . ليس لهم ذلك . إن العارية مؤداة إلى أهلها . قالت : إن الله أعارنا فلانًا . ثم أخذه ، فاسترجع واحتسب ولدك . فغضب وقال : تركتنى حتى تلطخت ، ثم أخبرتنى بابنى ؟ ثم شكاها للنبى ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لكما فى ليلتكما . فكانت قد حملت فى هذه الليلة فولدت عبد الله بن أبى طلحة . فقالت لابنها أنس : يا أنس . انظر هذا الغلام ، فلا تعملن شيئًا حتى تغدو به إلى النبى ﷺ قال أنس : فغدوت به ، وأرسلت معى تمرات ، فأخذه النبى ﷺ ، وقال : أمعه شيء ؟ قال : نعم . تمرات ، فأخذها النبى ﷺ ، فمضغها ، قم أخذ بعضها من فمه فجعله فى فم الطفل ودلك حنكه به ، وسماه عبد الله . وبارك الله فى عبد الله هذا ، فأنجب تسعة من الذكور وأربعة من الإناث ، سبعة من الذكور كلهم ختموا القرآن .

وتذهب أم سليم إلى رسول الله ﷺ فتقول : يا رسول الله . خادمك أنس . ادع الله له . فقال النبى ﷺ : « اللهم أكثر ماله وولده ، وأدخله الجنة » يقول أنس : قد رأيت اثنتين ، وأنا أرجو الثالثة ، وإنى لمن أكثر الأنصار مالا وولدًا ، ويقال : إنه قدم من صلبه وولده وولد ولده نحوًا من مائة قبل موته ، وولد له ثمانون ولدًا ، ثمانية وسبعون ذكرًا وابنتان ، وكانت له حديقة تحمل الفاكهة فى السنة مرتين .

شهد بدرًا كخادم لرسول الله ﷺ ولم يقاتل لصغره آنذاك ، وغزا مع النبى ﷺ ثمانى غزوات . وعاش بعد النبى ﷺ نحو ثمانين سنة أقام أوائلها بالمدينة ، وكانت إقامته أواخرها بالبصرة ، وشهد الفتوحات ، وكان يحتفظ بقدح النبى ﷺ يتبرك بالشرب منه ، ويتحف من يحب بسقيه منه ، واحتفظ بشعر من شعر الرسول ﷺ ، ولما مرض طلب من ثابت البنانى أن يضع شعرة من شعر رسول الله ﷺ تحت لسانه ، فوضعها ، فدفن وهى تحت لسانه ، مات فى قصره قريبًا من البصرة ، ودفن هناك ، وهو يعد من المكثرين من رواية حديث رسول الله ﷺ ساعده على ذلك طول صحبته لرسول الله ﷺ وملازمته له وطول حياته حتى احتاج الناس إلى ما عنده من الأحاديث .

وخدم أنس رسول الله ﷺ سفرًا وحضرًا ، يقضى حوائجه ، ويبلغ ما يحتاج الرسول ﷺ أن يبلغه ، فإذا قضى ما عليه عاد إلى بيته ، ليبيت مع أمه. يقول أنس : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين حتى إذ رأيت أنى قد فرغت من خدمتى ، قلت فى نفسى : الآن ينام صلى الله عليه وسلم نومة القيلولة ، فخرجت إلى صبيان وهم يلعبون، فجعلت أنظر إلى لعبهم. فجاء رسول الله ﷺ فسلم على الصبيان ثم دعانى ، فبعثنى إلى حاجة له ، فذهبت فيها ، وجلس رسول الله ﷺ فى ظل بيت حتى أتيته ، وتأخرت على أمى عن الموعد الذى

كنت آتيها فيه ، فلما أتيتها قالت : ما أخرك ؟ قلت : بعثنى رسول الله ﷺ فى حاجة له ، قالت : وما هى ؟ قلت : هو سر لرسول الله ﷺ . قالت : فاحفظ على رسول الله ﷺ سره . يقول أنس : وما حدثت به أحدًا من الناس حتى اليوم .

وسهر أنس مع رسول الله ﷺ ليلة حتى السحر ، فقال رسول الله ﷺ : يا أنس . إنى أريد الصيام فأطعمنى شيئًا . قال : فجئته بتمر وإناء فيه ماء ، فقال : يا أنس . انظر إنسانًا يأكل معى . قال : فدعوت زيد بن ثابت ، فقال : يا رسول الله . إنى شربت شربة سويق ، وأنا أريد الصيام ، قال صلى الله عليه وسلم : وأنا أريد الصيام ، فتسحر معه ، وصلى ركعتين ، ثم خرج فأقيمت الصلاة .

وكان أنس يدخل على أزواج النبى ﷺ حتى نزلت آية الحجاب ، يقول أنس : لما نزلت آية الحجاب جئت أدخل كما كنت أدخل ، فقال النبى ﷺ : وراءك يا بنى ، وأرخى الستر .

وكان أنس يحمل الماء ، ويتبع النبى ﷺ ، وينتظره حتى يقضى حاجته ، ثم يعطيه الماء ليستنجى .

وكان أنس يصحب رسول الله ﷺ إذا دعى رسول الله ﷺ إلى طعام ، فعن أنس قال : دعا خياط رسول الله ﷺ إلى طعام ، فأتاه بطعام ، وكان من القرع ، فرأيت النبى ﷺ يتتبع القرع من الإناء ، قال أنس : فمازلت أحب القرع .

وكان أنس فى أوقات فراغه ، وفى الليل خاصة يسهر مع أعمامه ، ولصغر سنه كان يقوم بخدمتهم يقول رضى الله عنه : كنت أسقى أبا عبيدة بن الجراح وأبى بن كعب وسهيل بن بيضاء ، ونفرًا من أصحابه عند أبى طلحة ، وأنا أسقيهم حتى كاد الشراب أن يأخذ فيهم ، فأتى آت من المسلمين ، فقال :

أو ما شعرتم أن الخمر قد حرمت ؟ فما قالوا حتى ننظر ، ولكنهم قالوا : يا أنس . صب ما عندك من الخمر فى الطريق .

وكان النبى ﷺ يمازحه ، ويداعبه . لكنه ما كان يقول إلا حقًّا ، ناداه صلى الله عليه وسلم بقوله : يا ذا الأذنين .

وكانت أم سليم ترسل أنسًا بطعام تعده لرسول الله ﷺ ، ففى ليلة زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش أهدت إليه أم سليم حبسًا "فتة" فى قصعة من حجارة ، أرسلت بها أنسًا إلى بيت العروس ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا أنس . اذهب فادع من لقيت ، ووضع النبى ﷺ يده على الطعام ودعا ، وقال ما شاء الله أن يقول . وخرج أنس فدعا كل من لقيه ، يدخل العشرة فيأكلون ويشبعون ويخرجون ، ويدخل عشرة غيرهم ، فيأكلون ويشبعون ويخرجون ، ويدخل عشرة غيرهم ، فيأكلون ويشبعون ويخرجون .

ويقول أنس : بعثت أم سليم معى بمكتل – سبت أو كيس – فيه رطب ، فلم أجد النبى ﷺ فى بيته ، إذ هو عند مولى له ، قد صنع له ثريدًا – فتة بلحم وقرع ، قال : فدعانى فأقعدنى معه فرأيته يعجبه القرع ، فجعلت أجمعه أمامه ، فلما تغذى ورجع إلى بيته وضعت المكتل بين يديه فجعل يأكل منه ، ويعطى من حوله حتى أتى على آخره .

وأبو طلحة يبعث أنسًا إلى رسول الله ﷺ بورك أرنب ، يقول أنس : رأيت فى الصحراء أرنبًا فتبعها الناس وتبعتها ، فكنت أول من سبق إليها وأمسكتها ، فجئت بها أبا طلحة . قال : فأمر بها فذبحت ، ثم سويت ، فأخذ عجزها ، فقال : ائت به النبى ﷺ ، قال : فأتيته ، قلت : إن أبا طلحة أرسل إليك بعجز الأرنب ، فقبله رسول الله ﷺ .

وفى يوم من الأيام دخل أبو طلحة المسجد ، فرأى رسول الله ﷺ مضجعًا ، وقد عصب بطنه بعصابة ، فرجع أبو طلحة لأم سليم ، وقال لها :

هل عندك شيء يؤكل ؟ فإنى رأيت رسول الله ﷺ وهو فى المسجد وسمعت صوته ضعيفًا أعرف فيه الجوع ، قالت : نعم . عندنا ما يشبع رسول الله ﷺ فإن كان معه أحد قلّ عنهم . فقامت إلى نصف مُدٍّ من شعير ، نصف حفنة ، فجرشته على الرحى ، ثم صنعته أقراصًا ، لفتها ، ثم أدخلتها ثوب أنس ، ثم أرسلته إلى رسول الله ﷺ . قال أبو طلحة : يا أنس . اذهب إلى المسجد ، فقم قريبًا من رسول الله ﷺ ، فإذا قام فدعه حتى يتفرق أصحابه ، ثم اتبعه حتى إذا قام على عتبة بابه فادفع إليه الطعام ، وصل أنس إلى المسجد ، فرأى أناسًا كثيرين حول النبى ﷺ ، فوقف . لا يدرى ماذا يفعل ؟ فقال له النبى ﷺ : يا أنس . آرسلك أبو طلحة ؟ قال : نعم . قال : يدعونا لطعام ؟ قال : نعم ، ولم يستطع أن يقول : معى الطعام ، فقال رسول الله ﷺ لمن معه : قوموا معى . يقول أنس : فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، ثم أخذ بيدى فشدها حتى إذا دنوا من البيت أرسل يدى لأدخل ، فدخلت وأنا حزين لما صار إليه الحال . حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال : يا أنس قد فضحتنا . وقال لأم سليم : يا أم سليم . قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ، وهنا يظهر إيمان أم سليم وثقتها فى رسول الله ﷺ ، ويظهر ذكاؤها وعقلها وثباتها فتقول لأبى طلحة : الله ورسوله أعلم . أى إن رسول الله ﷺ يعلم حالنا ، وما فعل ذلك إلا لحكمة ، رباطة جأش عجب لها أبو طلحة ، وهو لا يكاد يجمع فكره من هول الموقف . خرج يستقبل النبى ﷺ ، وأسر إليه يا رسول الله ما عندما إلا قرص من شعير ، عملته أم سليم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادخل فإن الله سيبارك فيما عندك ، ودخل الرسول ﷺ مع أبى طلحة ، وترك الناس خارج الباب ، ثم قال : يا أم سليم . هات ما عندك ، فأتت بالقرصة ، فأمر بها رسول الله ﷺ ففتت . ثم قال : هل من سمن ؟ فجاءت بإناء من جلد ، كان فيه سمن فنفد ، فجعلا يعصرانه حتى خرج منه قليل . فقال صلى الله عليه وسلم :

بسم الله . اللهم أعظم فيها البركة ، وأخذ يلمس الفتيت بسبابته ، ثم قال : أدخل عشرة . فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، قال : أدخل عشرة ، فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، فأكل القوم كلهم حتى شبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا ، ثم أكل النبى ﷺ بعد ذلك ، يقول أنس : ثم دعانى ودعا أمى وأبا طحة ، فأكلنا حتى شبعنا .

رضى الله عنهم وأرضاهم إنه سميع مجيب .

ورسول الله ﷺ يزور أنسًا وأم سليم فى دارهما ومعه كبار أصحابه وأبو بكر وعمر ، فتحلب أم سليم شاة ، وتضيف على لبنها قليلا من ماء البيت لتكسر الدسم ، ثم ناولته النبى ﷺ فشرب وأبو بكر عن يساره ، وأعرابى عن يمينه ، فقال له عمر : يا رسول الله . أعط أبا بكر عندك – وخشى أن يعطى الأعرابى – قال : فأعطاه الأعرابى ، ثم قال : الأيمن فالأيمن . يحكى ذلك الحديث رقم :

٢٣٥٢ – عن أَنَس بْن مَالك ﷺ **أَنَّهَا** – أى أم سليم رضى الله عنها – **حُلِبَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ دَاجِنٌ وَهْىَ فِى دَارِ أَنَسِ بْنِ مَالِك ، وَشِيبَ لَبَنُهَا بِمَاءٍ مِنَ الْبِئْرِ الَّتِى فِى دَارِ أَنَسٍ ، فَأَعْطَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْقَدَحَ فَشَرِبَ مِنْهُ ، حَتَّى إِذَا نَزَعَ الْقَدَحَ مِنْ فِيهِ ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ عُمَرُ وَخَافَ أَنْ يُعْطِيَهُ الأَعْرَابِىَّ : أَعْطِ أَبَا بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَكَ . فَأَعْطَاهُ الأَعْرَابِىَّ الَّذِى عَلَى يَمِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ »** .

وقد قلنا – ونعيد القول – أن أم سليم كانت تعتبر نفسها من آل البيت ، وكان النبى ﷺ يعتبرها كذلك ، ويعتبر بيتها كأحد بيوته ، يقول أنس : دخل رسول الله ﷺ على أم سليم ، فأتته بتمر وسمن – وكان صائمًا – فقال : أعيدوا تمركم فى وعائه ، وسمنكم فى سقائه ، ثم قام إلى ناحية البيت ، فصلى ركعتين وصلينا معه ، ثم دعا لأم سليم ولأهلها بخير ، فقالت أم سليم : يا

رسول الله . إن لى طلبًا خاصًا . قال : وما هو ؟ قالت : خادمك أنس . قال : فما ترك صلى الله عليه وسلم خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لى به ، وقال : اللهم ارزقه مالا وولدًا ، وبارك له فيه . قال أنس : فما من الأنصار إنسان أكثر منى مالا وولدًا .

وعند الإمام أحمد فى مسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ وَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِى بَيْتِهَا . قَالَ : فَأُتِيَتْ يَوْماً فَقِيلَ لَهَا هَذَا النَّبِىُّ ﷺ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِكِ . قَالَتْ : فَجِئْتُ وَذَاكَ فِى الصَّيْفِ فَعَرِقَ النَّبِىُّ ﷺ حَتَّى اسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدَمٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَجَعَلْتُ أُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ وَأَعْصِرُهُ فِى قَارُورَةٍ فَفَزِعَ وَأَنَا أَصْنَعُ ذَلِكَ فَقَالَ : « مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ » ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا . قَالَ : « أَصَبْتِ » .

وأزواج النبى ﷺ يعتبرن أم سليم من آل البيت ، يأخذنها معهن فى سفرهن . يقول أنس : كانت أم سليم مع نساء النبى ﷺ وهن يسوق بهن سواق، يدعى أنجشة ، حسن الصوت يحدو ويغنى ، والإبل تجد فى السير إذا سمعت الحداء ، فخشى النبى ﷺ من إسراع الإبل على الأزواج ، فقال : يا أنجشة . رفقًا بالقوارير . يشبه النساء بالزجاج الرقيق الذى لا يتحمل العنف ، ويأمره بالرفق بهن .

وكانت أم سليم مع أزواج النبى ﷺ فى غزوة خيبر ، ولما صارت صفية بنت حيى فى سهمه صلى الله عليه وسلم ، وصارت ملك يمينه ، وأراد أن يدخل بها فى طريق العودة ، دفعها إلى أم سليم تستبرئ نفسها بحيضة عندها، فلما تم الاستبراء أمر أم سليم أن تجهزها كعروس ، فنظفتها وغسلتها وطيبتها وزينتها ، ودخل عليها صلى الله عليه وسلم فى طريق العودة .

ولقد بشر رسول الله ﷺ أم سليم بالجنة إذ رأى فى المنام أنه دخل الجنة، فسمع بين يديه خشفة – صوت مشى – فإذا هو بالغميصاء ابنة ملحان أم أنس

ابن مالك .

وأبو طلحة – وإن أسلم من أجل زواجه بأم سليم – حسن إسلامه وزاد إيمانه ، وكان فارسًا راميًا مقدامًا حضر غزوة بدر ، وأبلى فيها بلاء حسنا . قال عن جهده : غشينا النعاس ، ونحن فى مصافنا يوم بدر ، وكنت فيمن غشيه النعاس يومئذ ، فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه .

أما فى أحد فقد دافع عن رسول الله ﷺ دفاعًا فريدًا ، ففى الحديث الذى رواه البخارى رقم :

٣٨١١ – عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَىِ النَّبِىِّ ﷺ مُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ – أى مترس عليه يحميه بنفسه وبترسه – **وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِياً شَدِيدَ الْقِدِّ** – أى شديد النزع ، قوى رمى السهم – **يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ** – منهزمًا – **مَعَهُ الْجُعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ** – له النبى ﷺ –: **انْشُرْهَا لأَبِى طَلْحَةَ . فَأَشْرَفَ النَّبِىُّ ﷺ** – وعلا بنفسه – **يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : يَا نَبِىَّ اللَّهِ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى ، لاَ تُشْرِفْ** – ولا ترفع رأسك – **يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ ، نَحْرِى دُونَ نَحْرِكَ** – أى رقبتى فداء لرقبتك . **وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِى بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا ، تُنْقِزَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا ، تُفْرِغَانِهِ فِى أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلآنِهَا ، ثُمَّ تَجِيآنِ فَتُفْرِغَانِهِ فِى أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَىْ أَبِى طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ ، وَإِمَّا ثَلاَثاً .**

وفى غزوة حنين – وقد قال رسول الله ﷺ : « من قتل رجلا فله سلبه » قتل أبو طلحة عشرين رجلا ، فأخذ سلابهم .

وكان رسول الله ﷺ يحبه ، ويرفع التكلف بينه وبينه حتى إن الرسول ﷺ لما أحسن بما يزعج أهل المدينة أخذ فرسًا لأبى طلحة دون إذنه ، وجال به

حول المدينة ، ولم يجد خطرًا من جهة الصوت ، فرجع إلى المدينة ، وأمن الناس ، وطمأنهم ، وقال لهم : لن تراعوا . لا تفزعوا . وقد وجدنا هذا الفرس بحرًا . يجرى جريًا سهلا .

وكما اختار رسول الله ﷺ لعروسه صفية أم سليم لتجهيزها شاء الله لأبى طلحة أن يرعاها ويعنى بها ويساعدها بأمر رسول الله ﷺ ، يقول أنس: أقبلت مع رسول الله ﷺ أنا وأبو طلحة ، وصفية رديفة النبى ﷺ على ناقته . فبينما نحن نسير إذ عثرت ناقة النبى ﷺ فصرع وصرعت المرأة ، فاقتحم أبو طلحة عن ناقته ، فقال : يا نبى الله . هل ضرك شيء ؟ قال : لا . عليك بالمرأة .

وكان أبو طلحة من أكثر أهل المدينة مالا ، وكانت له بئر ماء عذب فى حديقة مستقبلة للمسجد النبوى يقال له بيرحاء . وكان النبى ﷺ يدخلها ويشرب من مائها الطيب ، وكانت هذه الحديقة أحب أمواله إليه ، يحكى ذلك الحديث رقم :

١٤٦١ - عن أَنَس بْن مَالك ﷺ قال : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَار بالْمَدِينَةِ مَالاً منْ نَخْلٍ ، وكَانَ أَحَبَّ أَمْوَاله إلَيْه بيْرُحَاء وكَانتْ مُسْتَقْبلَةَ الْمَسْجِدِ ، وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا ويَشْرَبُ منْ مَاءٍ فيهَا طَيِّب قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (١) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى يَقُولُ ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإنَّ أَحَبَّ أَمْوَالى إلَيَّ بيْرُحَاء ، وإنَّهَا صَدَقَةٌ للَّه أَرْجُو برَّهَا وذُخْرَهَا عنْدَ اللَّه ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّه حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « بَخْ ، ذَلكَ مَالٌ رَابحٌ ، ذَلكَ مَالٌ رَابحٌ ، وقَدْ سَمعْتُ مَا قُلْتَ وإنِّى أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فى الأَقْرَبينَ » . فَقَالَ

---

(١) آل عمران - الآية : ٩٢ .

أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِى أَقَارِبِهِ وَبَنِى عَمِّهِ .

وكان الصحابة يتنافسون فى الحصول على شعرة من شعر النبى ﷺ إذا حلق . وفى منى فى حجة الوداع حلق رسول الله ﷺ رأسه ، فلما حلق شق رأسه الأيمن أعطى شعره لأبى طلحة ، فأعطاه لأنس ليوصله إلى أمه فكانت أم سليم تخلطه فى طيبها . فلما رأى الناس ما خصها به من شعره تنافسوا فى الشق الآخر . هذا يأخذ الشيء ، وهذا يأخذ الشيء – الشعرة والشعرتين – قال الراوى : لأن يكون عندى منه شعرة أحب إلى من كل صفراء وبيضاء – يعنى الذهب والفضة .

عاش أبو طلحة بعد النبى ﷺ أربعين سنة ، أكثرها فى الشام ، وكان لا يكاد يصوم نافلة فى عهد النبى ﷺ من أجل الغزو معه ، فلما توفى رسول الله ﷺ صام الدهر إلا العيدين ، وفى أواخر أيامه حاول أهله أن يمنعوه من الغزو ، قالوا له : قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ، وغزوت مع أبى بكر حتى مات ، وغزوت مع عمر حتى مات ، فدعنا نغزو عنك . قال : جهزونى فغزا البحر ، فمات فى البحر ، فدفنوه فى جزيرة بعد سبعة أيام من موته ، ولم يتغير بدنه رضى الله عنه وأرضاه ، ورضى الله عن أنس وأمه ، وأدخلنا معهم الفردوس الأعلى . آمين .

فهرس الجزء الرابع عشر